

العقيدة الإسلامية وأثرها في النجاة من الفتن المعاصرة

١ . د . سليمان بن قاسم العيد

جامعة الملك سعود - كلية التربية

قسم الثقافة الإسلامية

١٤٢٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله المتفرد بالقدرة والمتعزز بالعظمة احمده على السراء والضراء والعافية والبلاء حمداً طيباً مباركاً فيه كما هو أهله ومستحقه وصلى الله على محمد خاتم رسله وخيرته من خلقه وعلى أهله أجمعين وسلم وشرف وكرم أما بعد:-

فقد ظهر في عصرنا الحاضر من الفتن وتغيير الأحوال وفساد الدين واختلاف القلوب وإحياء البدع وإماتة السنن ما دل على انقراض الدنيا وزوالها ومجيء الساعة واقتربها، وقد أعلمنا به نبينا (صلى الله عليه وسلم) وخوفناه.

والفتن إنما يعرف ما فيها من الشر إذا أدبرت فأما إذا أقبلت فإنها تزين ويظن أن فيها خيراً فإذا ذاق الناس ما فيها من الشر والمرارة والبلاء صار ذلك مبيناً لهم مضرتها وواعظاً لهم أن يعودوا في مثلها كما أنشد بعضهم:

الحرب أول ما تكون فتية تسعى بزيتها لكل جهول

حتى إذا اشتعلت وشب ضرامها ولت عجوزاً غير ذات حليل

شمطاء ينكر لوها وتغيرت مكروهة للشم والتقيل^(١)

والفتن قديمة الأصل جديدة النوع ، فعلى سبيل المثال فإن فتنة المال والنساء هي فتن قديمة النوع ولكنها معاصرة من حيث الشكل والتجدد ، وذلك بما استجد من وسائل الحياة ، ففتنة المال على سبيل المثال تجددت بشكلها ووسائلها وطرق عرضها ، من مسابقات ، ومساهمات ونحوها .

وفتنة النساء كذلك. بما استجد من وسائل الزينة وسبل الإغراء وطرق العرض، بشكل لم يعرف له مثل في الزمن السابق. وقل أيضاً في فتنة الشهرة التي روج لها الإعلام في مجالاته المختلفة الفنية منها والرياضية، ولا تقتصر شهرة الإنسان في مجتمعه أو محيطه الذي يعيش فيه، بل تتعدى ذلك إلى العالم بكل بسبب تلك التقنيات المعاصرة. ويقال نحو ذلك في بقية الفتن الأخرى.

مشكلة البحث

ما وقع الناس فيه من الغفلة والجهل في بعض الأمور التي ظاهرها خير وعاقبتها غير ذلك من المال والنساء والمنصب والجاه والشهرة وغير من ذلك من أنواع الفتن المعاصرة. مما يدعو إلى جلاء تلك الأمور وبيان الحل الناجع في النجاة منه وهي العقيدة الإسلامية الصحيحة.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

تعود أهمية الموضوع إلى أمور منها :-

- ١- شدة خطر الفتن وعواقبها السيئة في الدنيا والآخرة .
- ٢- خفاء بعض الفتن على كثير من الناس.
- ٣- أهمية العقيدة الإسلامية في السلامة والنجاة من الفتن وغيرها .
- ٤- ضعف الوازع الديني وغلبة الشهوة على كثير من الناس.
- ٥- تساهل الكثير من الناس في أمور خطيرة من الفتن .

أهداف البحث

- ١- بيان الفتن المعاصرة وأخطارها .
- ٢- بيان كيفية النجاة من هذه الفتن بالعقيدة الإسلامية .

تساؤلات البحث

- ١ - ما الفتن المعاصرة وما أخطارها؟
- ٢ - كيف تكون العقيدة الإسلامية سبباً في النجاة من هذه الفتن؟

تقسيم البحث

المقدمة

تمهيد : ويشمل

معنى الفتنة

خطر الفتن

السلامة من الفتن

العقيدة الإسلامية

أثر العقيدة الصافية في الحياة

الفصل الأول : فتنة المال

المبحث الأول : التعريف بفتنة المال

المبحث الثاني : خطر فتنة المال

المبحث الثالث : صورة معاصرة لفتنة المال

المبحث الرابع : أثر العقيدة في النجاة من فتنة المال

الفصل الثاني : فتنة النساء

المبحث الأول : التعريف بفتنة النساء

المبحث الثاني : خطر فتنة النساء

المبحث الثالث : صور معاصرة لفتنة النساء

المبحث الرابع : أثر العقيدة في النجاة من فتنة النساء

الفصل الثالث : فتنة المنصب

المبحث الأول : التعريف بفتنة المنصب

المبحث الثاني : خطر فتنة المنصب

المبحث الثالث : صور معاصرة لفتنة المنصب

المبحث الرابع : أثر العقيدة في النجاة من فتنة المنصب

الخاتمة

الفهارس

تمهيد

معنى الفتنة

الْفِتْنَةُ الاختبار والامتحان تقول فَتَنَ الذهب يَفْتِنُهُ بالكسر فِتْنَةً و مَفْتُونًا أَيضاً إذا أدخله النار لينظر ما جودته ودينار مَفْتُونٌ أي مُمتحن وقال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} ^(١).

أي حَرَّقُوهم ويُسمى الصائغ الفَتَّانُ وكذا الشيطان وفي الحديث المؤمن أخو المؤمن يسعهما الماء والشجر ويتعاونان على الفَتَّانِ يروى بفتح الفاء على أنه واحد وبضمها على أنه جمع.

وقال الخليل الفَتْنُ الإحراق قال الله تعالى: {يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ} و أَفْتَيْنَ الرجل و فُتِنَ فهو مَفْتُونٌ إذا أصابته فتنة فذهب ماله أو عقله وكذا إذا اختبر قال الله تعالى وفتناك فتونا و الفتُونُ أيضا الافتِتَانُ يتعدى ويلزم و فَتَنَتُهُ المرأة دلهته و أَفْتَنَتُهُ أيضا وأنكر الأصمعي افتنته بالألف.

و الفاتِنُ المضل عن الحق قال الفراء أهل الحجاز يقولون بِمُفْتِنِينَ من أَفْتَنَت و أما قوله تعالى: {بأيكم المفتون} فالباء زائدة كما في قوله تعالى: {وكفى بالله شهيدا} و المفتُونُ الفتنة وهو مصدر كالمعقول والمحلوف ويكون أيكم مبتدأ والمفتون خبره وقال: المازني المفتون رفع بالابتداء وما قبله خبره كقولهم بمن مرورك وعلى أيهم نزولك لأن الأول في معنى الظرف و فَتْنَهُ تَفْتِينَا فهو مُفْتَنٌ أي مفتون جداً ^(٢).

و الفتنة المحنة و الفتنة المال و الفتنة الأولاد و الفتنة الكفر و الفتنة اختلاف الناس بالآراء و الفتنة الإحراق بالنار وقيل الفتنة في التأويل الظلم يقال فلان مفتون بطلب الدنيا

(١) سورة البروج ، الآية ١٠.

(٢) انظر : مختار الصحاح ٢٠٥/١.

قد غلا في طلبها ابن سيده الفتنة الخيرة وقوله عز وجل: {إنا جعلناها فتنة للظالمين} أي خيرة ومعناه أنهم أفتنوا بشجرة الزقوم وكذبوا بكونها وذلك أنهم لما سمعوا أنها تخرج في أصل الجحيم قالوا الشجر يحترق في النار فكيف ينبت الشجر في النار فصارت فتنة لهم.

و الفتنة العذاب نحو تعذيب الكفار ضعفاء المؤمنين في أول الإسلام ليصدوهم عن الإيمان كما مطي بلال على الرمضاء يعذب حتى افتكه أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه: {فأعتقه} و الفتنة ما يقع بين الناس من القتال و الفتنة القتل ومنه قوله تعالى: {إن خفتهم أن يفتنكم الذين كفروا} قال وكذلك قوله عز وجل في سورة يونس: {على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم} أي يقتلهم.

وأما قول النبي: «إني أرى الفتن خلال بيوتكم» فإنه يكون القتل والحروب والاختلاف الذي يكون بين فرق المسلمين إذا تحزبوا ويكون ما يبلون به من زينة الدنيا وشهواتها فيفتنون بذلك عن الآخرة والعمل لها وقوله عليه السلام: (ما تركت فتنة أضر على الرجال من النساء) يقول أخاف أن يعجبوا بهم فيشتغلوا عن الآخرة والعمل لها و الفتنة الاختبار و فتنه يفتنه اختبره وقوله عز وجل: {أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين} قيل معناه يختبرون بالدعاء إلى الجهاد وقيل يفتنون بإنزال العذاب والمكروه لسان العرب^(١).

والمعنى المراد في الفتنة في هذا البحث هو ما يتلى به الإنسان في هذه الحياة من المال والنساء والمنصب والجاه ونحو ذلك، مما يكون سبباً في بعده عن الله والدار الآخرة.

(١) لسان العرب ٣١٧/١٣ - ٣١٩ . والتعاريف ٥٩٤/١ .

خطر الفتن

إن الفتنة لها خطر عظيم على الإنسان في حياته وبعد مماته ، ولذا فإن الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) كان كثيراً ما يحذر أمته من الفتن وخطورها ويبين لهم أسباب النجاة منها للسلامة من تلك الأخطار ، ومما جاء في بيان أخطار الفتن من الأحاديث والآثار ما يلي: -

عن عبدالله بن عباس أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن يقول: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات».

هذا الدعاء يكرره لمسلم في يومه مرت عديدة فيتعوذ به من الفتنة لشدة ضررها وخطورها ، وقد قرن التعوذ من الفتنة بالتعوذ من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ، وفتنة المسيح الدجال فتنة عظيمة، وما من نبي إلا وقد أُنذر أمته المسيح الدجال حتى نوح أنذر قومه به، و دل عليها شدة عظمها ما ورد عن أبي أمامة الباهلي قال: خطبنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فكان أكثر خطبته حديثاً حدثناه عن الدجال وحذرناهُ فكان من قوله أن قال: «إنه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال وإن الله لم يبعث نبياً إلا حذر أمته الدجال وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم وهو خارج فيكم لا محالة وإن يخرج وأنا بين ظهرانيكم فأنا حجيج لكل مسلم وإن يخرج من بعدي فكل امرئ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم»^(١).

وعن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال بينا نحن مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في غزوة تبوك ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) في قبة من آدم إذ مررت فسمع صوتي فقال: «يا عوف بن مالك ادخل فقلت يا رسول الله أكلني أم بعضي فقال: بل كلك قال فدخلت فقال يا عوف اعدد ستاً بين يدي الساعة فقلت ما هن يا رسول الله

قال موت رسول الله فبكى عوف ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قل إحدى قلت إحدى ثم قال وفتح بيت المقدس قل اثنين قلت اثنين قال وموت يكون في أمي كعقاص الغنم قل ثلاث قلت ثلاث قال وتفتح لهم الدنيا حتى يعطى الرجل المائة فيسخطها قل أربع قلت أربع وفتنة لا يبقى أحد من المسلمين إلا دخلت عليه بيته قل خمس قلت خمس وهدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر يأتونكم على ثمانين غاية كل غاية اثنا عشر ألفاً ثم يغدرون بكم حتى حمل امرأة»^(١).

وعن طاووس قال: قال: رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «إن الفتن ستعمكم فتعوذوا بالله من شرها»^(٢).

وعن أم سلمة زوج النبي (صلى الله عليه وسلم) قالت استيقظ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فزعا يقول: «سبحان الله ماذا أنزل من الخزائن ماذا أنزل من الفتن من يوقظ صواحب الحجرات يريد أزواجه لكي يصلين رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة»^(٣).

وعن جعفر بن علي عن أبيه قال: قال: رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «أخوف ما أخاف على أمي ثلاثة الضلالة بعد المعرفة ومضلات الفتن وشهوة البطن والفرج»^(٤).

وكما جاء التحذير من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فإن السلف أيضاً كانوا يخشون خطر الفتنة ، وكان بعضهم يحذر البعض منها ، فعن سفيان قال: كان يقال تعوذوا بالله من فتنة العابد الجاهل وفتنة العالم الفاجر فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون.

وقال قال: الشعبي اتقوا الفاجر من العلماء والجاهل من المتعبدین فإنهما آفة كل مفتون.

(١) المستدرک علی الصحیحین ٤/٤٦٩ .

(٢) السنن الواردة في الفتن ١/٢٩٩ .

(٣) السنن الواردة في الفتن ١/٢٨١ .

(٤) السنن الواردة في الفتن ١/٢٩٥ .

وقال مطرف بن الشخير قال: سمعت أبا الدرداء رضي الله عنه يقول حبذا موتا على الإسلام قبل الفتن.^(١)

وعن أبي قلابة قال: قال: معاذ إنها ستكون فتنة يكثُر منها المال ويفتح فيها القرآن حتى يقرأه المؤمن والمنافق والمرأة والرجل والصغير والكبير.^(٢)
وقيل للشعبي في فتنة ابن الأشعث أين كنت يا عامر؟

قال: كنت حيث يقول الشاعر:

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوت إنسان فكدت أطيّر
أصابتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء .

وكان الحسن البصري يقول إن الحجاج عذاب الله فلا تدفعوا عذاب الله بأيديكم ولكن عليكم بالاستكانة والتضرع فإن الله تعالى يقول: ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لرهم وما يتضرعون﴾.

وكان طلق بن حبيب يقول: اتقوا الفتنة بالتقوى فقليل له أجمل لنا التقوى فقال: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو رحمة الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عذاب الله رواه أحمد وابن أبي الدنيا .

وكان أفاضل المسلمين ينهون عن الخروج والقتال في الفتنة كما كان عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب وعلي بن الحسين وغيرهم ينهون عام الحرة عن الخروج على يزيد وكما كان الحسن البصري ومجاهد وغيرهما ينهون عن الخروج في فتنة ابن الأشعث ولهذا استقر أمر أهل السنة على ترك القتال في الفتنة للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم ويأمرون بالصبر على جور.^(٣)

(١) ابن حماد ١/١٥٩.

(٢) السنن الواردة في الفتن ٣/٥٦٧.

(٣) منهاج السنة النبوية ٤/٥٢٩.

وقال الضحاك في قوله: {واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة} قال: تصيب الصالح والظالم عامة.^(١)

وقال أبو طالب: عن أحمد وقيل له إن قوما يدعون الحديث ويذهبون إلى رأي سفيان فقال أعجبت لقوم سمعوا الحديث وعرفوا الإسناد وصحته يدعونه ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره قال الله: {فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم} وتدرى ما الفتنة الكفر قال الله تعالى: {والفتنة أكبر من القتل} فيدعون الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتغلبهم أهواؤهم إلى الرأي ذكر ذلك شيخ الإسلام^(٢).

وعن أبي قلابة قال قال: معاذ إنها ستكون فتنة يكثر منها المال ويفتح فيها القرآن حتى يقرأه المؤمن والمنافق والمرأة والرجل والصغير والكبير حتى يقول رجل قد قرأت القرآن فما أرى الناس يتبعوني أفلا أقرأه عليهم علانية فيقرأه علانية فلا يتبعه أحد فيقول قد قرأته علانية فلا أراهم يتبعوني فيبني مسجدا في داره أو قال في بيته ويبتدع قولاً أو قال حدثنا ليس في كتاب.^(٣)

وقال القنوجي: والإمساك في الفتنة سنة ماضية واجب لزومها فإن ابتليت فقدم نفسك دون دينك ولا تعن على الفتنة بيد ولا لسان ولكن اكفف يدك ولسانك وهواك ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين وجبت طاعته وحرمت مخالفته فيما ليس بمعصية لله ولرسوله ولخروج عليه وشق عصا المسلمين وإن أمرك السلطان بأمر هو لله معصية فليس لك أن تطيعه البتة وليس لك أن تخرج عليه.^(٤)

(١) السنن الواردة في الفتن ٢٠٦/١.

(٢) انظر: شرح كتاب التوحيد: ١/ ٤٨٤، وشرح قصيدة ابن القيم ٤٩٢/١.

(٣) السنن الواردة في الفتن ٢٢٨/١ / ٢٧.

(٤) قطف الثمر ١٤٦/١.

السلامة من الفتن

ولما كان خطر الفتن شديداً على هذه الأمة ، وقلما يسلم منها إنسان ، جاء التوجيه من المصطفى (صلى الله عليه وسلم) الذي ما ترك خيراً إلا ودل الأمة عليه ، وما ترك شراً إلا وحذرنا منها ، جاء التوجيه بإتباع الطرق التي يسلم بها الإنسان من الفتن ، ومنها :-

لزوم جماعة المسلمين وإمامهم

لزوم جماعة المسلمين أمن الفتنة ، ولكن أي جماعة ؟ الجماعة المتمسكة بكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، ولقد دل على أهمية لزوم الجماعة في الأمن من الفتنة حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فعن حذيفة بن اليمان قال: «ذكر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دعاة على أبواب جهنم من أطاعهم قحموه فيها . قال: قلت يا رسول الله فكيف النجاة منها . قال: تلزم الجماعة وإمام الجماعة . قال: قلت فإن لم تكن جماعة ولا إمام جماعة . قال: فاهرب من تلك الفرق كلها ولو يدررك الموت وأنت عاط بساق شجرة».(١)

وفي رواية: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم قال قلت فإن لم يكن لهم إمام ولا جماعة قال فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعظ بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك».(٢)

ودل الحديث على حالة أخرى للسلامة من الفتنة وذلك عندما لا يجد المسلم جماعة ولا إمام يلزمهم ، وهي العزلة والبعد عن الناس ، وربما تنطبق هذه الحال على البعيد عن بلاد المسلمين ، كم يعيش في بلاد كافرة من الأقليات الإسلامية .

تعلم العلم وتعليمه والعمل به

(١) ابن حماد ١/١٤٣ .

(٢) المرجع نفسه .

من أهم الأمور في السلامة من الفتن تعلم العلم وتعليمه والعمل به ، ولا شك أن العلماء هم أبعد الناس عن الفتن والوقوع فيها ، وهم السبب أيضاً في سلامة غيرهم من الوقوع في الفتن وذلك لما يقومون به من تعليم الناس ونصحهم وتحذيرهم من الفتن وأخطارها .

ومما يدل على ذلك ما ورد عن ابن مسعود قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «تعلموا العلم وعلموه الناس وتعلموا القرآن وعلموه الناس وتعلموا الفرائض وعلموها الناس فإنني امرؤ مقبوض وإن العلم سيقبض وتظهر الفتن حتى يختلف الاثنان في الفريضة لا يجدان أحدا يفصل بينهما»^(١).

التمسك بهدي من مات من السلف الصالح

قال عبد الله بن مسعود: من كان منكم مستنفاً فليستن بمن قد مات فإن الحي لا يؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم وإذا كان من أعظم بل أعظم أهل زمانه صدقاً وبراً^(٢).

طاعة السلطان وعدم الخروج

إن من أهم الأسباب في السلامة من الفتن طاعة السلطان وعدم الخروج عليه ، قال الإمام أحمد بن حنبل : الانقياد إلى من ولاه الله أمركم لا تترعوا يداً من طاعته ولا تخرج عليه بسيفك حتى يجعل الله لك خرجاً ومخرجاً ولا تخرج على السلطان وتسمع وتطيع ولا تنكث بيعة فمن فعل ذلك فهو مبتدع مخالف مفارق للجماعة وإن أمرك السلطان بأمر هو لله معصية فليس لك أن تطيعه البتة وليس لك أن تخرج عليه ولا تمنعه حقه ، والإمساك في الفتنة سنة ماضية واجب لزومها فإن ابتليت فقدم نفسك دون دينك ولا تعن على الفتنة

(١) السنن الواردة في الفتن ٥٨٥/٣ .

(٢) الجواب الصحيح ٤٩٣/٦ .

ولو بلسان ولكن اكفف يدك ولسانك وهواك والله المعين ، والكف عن أهل القبلة ولا تكفر أحدا منهم بذنوب ولا تخرجه من الإسلام بعمل إلا أن يكون في ذلك فيروي الحديث كما جاء وكما روي ونصده ونقبله ونعلم أنه كما روي نحو ترك الصلاة وشرب الخمر وما أشبه ذلك أو يبتدع بدعة ينسب صاحبها إلى الكفر والخروج من الإسلام فاتبع الأثر في ذلك ولا تجاوزه ^(١).

عدم المشاركة في الفتنة إذا وقعت

قد تحصل الفتنة في مكان وتقوم الحرب بين الناس ، فالسلامة عد إذ البعد عنها ، عن أبي الدرداء عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «لا تقربوا الفتنة إذا حميت ولا تعرضوا لها إذا أعرضت وأضربوا إذا أقبلت قلت لعله واصبروا لها إذا أقبلت» رواه الطبراني ^(٢).

قال البربرهاري : فإذا وقعت الفتنة فالزم جوف بيتك وفر من جوار الفتنة وإياك والعصبية وكل ما كان من قتال بين المسلمين على الدنيا فهو فتنة فاتق الله وحده لا شريك له ولا تخرج فيها ولا تقاتل فيها ولا تهوى ولا تشايح ولا تمايل ولا تحب شيئا من أمورهم فإنه يقال من أحب فعال قوم ^(٣).

عدم بيع السلاح في الفتنة

من الأمور الهامة في السلامة من الفتنة عدم بيع السلاح فيه، وذلك لأن السلاح مهيج للفتنة مذكي للحروب ، عن عمران بن حصين أن النبي (صلى الله عليه وسلم) نهى عن بيع السلاح في الفتنة رواه البزار وفيه بحر بن كنيز السقاء وهو متروك .

وعن أبي بكرة قال: أتى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على قوم يتعاطون سيفاً مسلولا فقال: ((لعن الله من فعل هذا أو ليس قد نهيت عن هذا ثم قال إذا سل أحدكم

(١) العقيدة ٧٦/١.

(٢) مع الزوائد (الجزء الخاص بالعقيدة) ٣٠٥/٧.

(٣) شرح السنة - البرهاري ٤٧/١.

سيفه فنظر إليه فأراد أن يناوله أخاه فليغمده ثم يناوله إياه)) رواه أحمد والطبراني وفيه مبارك بن فضالة وهو ثقة ولكنه مدلس وبقيّة رجال أحمد رجال الصحيح^(١).

التمسك بكتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم)

كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم) فيهما السلامة من الفتن عن الحرث قال: مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت على علي فقلت: يا أمير المؤمنين ألا ترى أن الناس قد خاضوا في الأحاديث قال وقد فعلوها قلت نعم قال أما إني قد سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: ((ألا إنها ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها يا رسول الله قال: كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا ﴿إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد﴾ من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم))^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال: رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ((إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي ولن يترقا حتى يردا علي الحوض))^(٣).

(١) مجمع الزوائد (الجزء الخاص بالعقيدة) ٢٩٠/٧.

(٢) سنن الترمذي ١٧٢/٥. وقال أبو عيسى هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول وفي الحرث مقال.

(٣) المستدرک علی الصحیحین ١٧٢/١.

العقيدة الإسلامية

تعريف العقيدة

في اللغة : من العَقْد وهو الربط والشد بقوة ، ومنه الإحكام والإبرام ، والعَقْدُ نقيض الحل ، يقال عقدت الحبل ، والبيع ، والعهد^(١) . وما عقد عليه الإنسان قلبه جازماً فهو عقيدة .

في الاصطلاح :

(أ) الاصطلاح العام : الإيمان الجازم والحكم القاطع ، الذي لا يتطرق إليه الشك لدى المعتقد ، بصرف النظر عن نوع الاعتقاد حق أو باطل ، وسمي عقيدة لأن الإنسان يعقد عليه قلبه .

تعريف آخر : حكم الذهن الجازم ، يقال : اعتقدت كذا ، يعني جزم به قلبي ، فهو حكم الذهن الجازم ، فإن طابق الواقع فصحيح ، وإن خالف الواقع ففاسد ، فاعتقادنا أن الله واحد صحيح ، واعتقاد النصراني أن الله ثالث ثلاثة باطل ، لأنه مخالف للواقع ، ووجه ارتباطه بالمعنى اللغوي ظاهر ، لأن هذا الذي حكم في قلبه على شيء ما كأنه عقده عليه وشده عليه بحيث لا يفلت منه^(٢) .

(ب) الاصطلاح الإسلامي : الإيمان الجازم بالله ، وما يجب له في ألوهيته وربوبيته ، وأسمائه وصفاته ، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمر الغيب وأخباره ، وما أجمع عليه السلف الصالح ، والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع ، ولرسوله (صلى الله عليه وسلم) بالطاعة والتحكيم والإتباع^(٣) .

(١) انظر : الجوهري ، الصحاح ، مادة عقد . ٥١٠/١ . وابن منظور ، لسان العرب ، نفس المادة ٢٩٦/٣ - ٣٠٠ .

(٢) ابن عثيمين ، شرح العقيدة الواسطية ٥٠/١ .

(٣) د. ناصر العقل ، مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة ص ٩ .

مزايا عقيدة أهل السنة والجماعة

تتميز عقيدة أهل السنة والجماعة بمميزات عدة ، منها :-

١- سلامة المصدر .

وذلك باعتمادهم على الكتاب والسنة ، وإجماع السلف ، وأقوالهم فحسب ، قال ابن عبد البر : «ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصاً في كتاب الله ، أو صح عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأجمعت عليه الأمة ، وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يسلم له ، ولا يناظر في»^(١) .

وهذه الخاصية لا توجد في مذاهب أهل الكلام والمبتدعة والمتصوفة ، الذين يعتمدون على العقل ، والنظر ، أو على الحدس والكشف والإلهام ، أو الرؤى والأحلام ، أو عن طريق أشخاص يزعمون لهم العصمة ... أو غير ذلك من المصادر البشرية التي يحكمونها ، ويعتمدونها في أمور الغيب .

٢- تقوم على التسليم لله تعالى ولرسوله (صلى الله عليه وسلم) .

العقيدة أمور غيبية، ولا يكمن للعقل أن يحيط بها، ولذا فإن أهل السنة والجماعة سلموا لله ولرسوله (صلى الله عليه وسلم) في هذه الأمور الغيبية، وأراحوا عقولهم من البحث والنظر في ما لا مجال لها في إدراكه. ولقد جعل الله سبحانه وتعالى الإيمان بالغيب من صفات المتقين حين قال {الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون}^(٢) .

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢/١١٨، ١١٧ .

(٢) سورة البقرة ، الآيات ١، ٢، ٣ .

٣- موافقتها للفطرة القويمة والعقل السليم .

عقيدة أهل السنة والجماعة في جميع جوانبها ، تتفق مع الفطرة القويمة التي فطر الله عليها عباده ، كما تتفق مع العقل السليم، مما يؤدي إلى الاطمئنان بها ، بخلاف ما جاء به المبتدعة من أمور تخالف الفطرة وتناقض العقل ، مما يؤدي إلى الحيرة والقلق والشك.

٤- اتصال سندها بالرسول (صلى الله عليه وسلم) والصحابة والتابعين وأئمة الهدى، قولاً وعملاً وعلماً واعتقاداً.

فلا يوجد بحمد الله تعالى عند أهل السنة والجماعة قضية من قضايا العقيدة إلا وهي منسوبة إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أو صحابته الكرام والتابعين وأئمة الهدى. بخلاف عقائد المبتدعة المبتورة من السند السليم، فلا تعدو أن تكون مخترعة من أئمة الزيغ والضلال ، ولا صلة لها برسول الله (صلى الله عليه وسلم) وصحابته الكرام وأئمة الهدى والرشاد .

٥- الوضوح والبيان .

عقيدة أهل السنة والجماعة تتميز بكونها واضحة جلية، خالية من اللبس والغموض، بخلاف عقائد بعض الفرق الضالة التي لا تخلو من التعقيد والغموض في ألفاظها ومعانيها، حتى لا يكاد يفهمها إلا آحاد الناس، ممن عرفوا تلك الأساليب الملتوية والطرق المعوجة.

٦- سلامتها من الاضطراب والتناقض .

تتميز عقيدة أهل السنة والجماعة بالسلامة من الاضطراب والتناقض الذي وقع فيه من خرج عن منهجهم ، ووقع فيما وقع فيه من الحيرة والشك ، فقد صرح بعض أئمة أهل الكلام والفلسفة والتصوف بما وصلت إليه أحوالهم ، ورجع بعضهم إلى معتقد أهل السنة والجماعة .

فهذا أبو الحسن الأشعري نشأ في الاعتزال أربعين عاماً يناظر عليه ، ثم رجع عن ذلك وصرح بتضليل المعتزلة وبالغ في الرد عليهم^(١) .

وكذلك الغزالي (رحمه الله) انتهى آخر أمره إلى الوقف والحيرة في المسائل الكلامية، ثم أعرض عن تلك الطرق وأقبل على أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فمات وصحيح البخاري على صدره^(٢) .

وكذا أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي قال في كتابه الذي صنفه (أقسام اللذات): «لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفي عيلاً ، ولا تروي غليلاً ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن : أقرأ في الإثبات {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} ^(٣) ، {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} ^(٤) . وأقرأ في النفي {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} ^(٥) ، {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً} ^(٦) ، {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} ^(٧) ، ثم قال: من جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي ، وكان يتمثل كثيراً ويقول :

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا قيل وقال^(٨)

٧- سبب للظهور والنصر والفلاح في الدارين .

(١) ابن تيمية ن مجموع الفتاوي ٧٢/٤ .

(٢) ابن أبي العز الحنفي ، شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٠٨ .

(٣) سورة طه، الآية ٥ .

(٤) سورة فاطر ، الآية ١٠ .

(٥) سورة الشورى، الآية ١١

(٦) سورة طه، الآية ١١٠ .

(٧) سورة مريم، الآية ٦٥

(٨) ابن تيمية ، مجموع الفتاوي ، ٧٢، ٧٣/٤ .

لقد جعل الله سبحانه وتعالى هذه العقيدة الحقّة ، عقيدة أهل السنة والجماعة ، سبباً في النصر والظهور ، كما أخبر بذلك المصطفى (صلى الله عليه وسلم) حين قال: « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»^(١). وكما كتب لهم النصر والظهور في الدنيا ، فقد كتب لهم الفلاح والنجاة في الآخرة فهم الفرقة الناجية يوم يهلك الناس .

٨- عقيدة الجماعة والاجتماع .

مما تتميز به هذه العقيدة هو اجتماع أهلها وعدم تفرقهم، في حين أن أهل العقائد الباطلة يتفرقون شيعاً وأحزاباً، ولا يتوقف بهم الأمر عند ذلك، بل يضلّ بعضهم بعضاً، ويكفر بعضهم بعضاً. وفي هذا يقول الأصبهاني (رحمه الله) : « ومما يدل على أن أهل الحديث هم أهل الحق أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم ، قديمهم وحديثهم ، مع اختلاف بلدانهم وزمانهم ، وتباعد ما بينهم من الديار، وسكون كل واحد منهم قطراً من الأقطار ، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد ، يجرون على طريقة لا يحدون عنها ، ولا يميلون فيها ، قولهم في ذلك واحد ، لا ترى فيهم اختلافاً ن ولا تفرقاً في شيء ما وإن قل ، بل لو جمعت ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم ، وجدته كأنه جاء عن قلب واحد، وجرى على لسان واحد...»^(٢) .

٩- البقاء والثبات والاستقرار .

مما تتميز به عقيدة أهل السنة والجماعة هو البقاء والثبات والاستقرار لمبادئها ومعتقداتها ، فقولهم في الله سبحانه وتعالى وأسمائه وصفات ثابت لم يتغير ، وكذا قولهم في

(١) أخرجه مسلم ، كتاب الإمامة ، حديث رقم ١٩٢٠ .

(٢) عثمان بن علي حسن ، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة ٤٦/١ . ونسبه للحجة

للحجة في بيان الحجة (مخطوط) ورقة ١٦٤ ، مكتبة أحمد الثالث ، تحت رقم ١٣٩٥ ، تركيا .

النبوة والقدر ونحوه . في حين أن غيرهم من أهل البدع ربما تغيرت معتقداهم وتبدلت مع مرور الزمن^(١).

(١) انظر : د. ناصر العقل ، مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة ص ٢٩-٣٤ .

أثر العقيدة الصافية في الحياة

إن حياة الإنسان تسير وفقد مؤثرات كثيرة ، تتحكم فيها ، سعادة وشقاء ، ثباتاً وتقلباً، ومن أهم هذه المؤثرات : المعتقد ، فإن عقيدة الإنسان هي التي توجه مسار حياته، إما إلى الاطمئنان والسعادة ، وتلك حياة أهل المعتقد الحق ، أهل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، وبقدر هذا الإيمان يكون الاطمئنان والسعادة .

وإما إلى الحيرة والشقاء، وتلك حياة أهل المعتقد الباطل المخالف للمنهج الشرعي الصحيح، نعوذ بالله من الخذلان.

فإن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الإنسان ، ويعلم ما يسعد هذا الإنسان ، وما يحقق له في حياته الراحة والاطمئنان. فشرع من العقيدة والعبادة ما يحقق ذلك .

إن الإيمان الحق بكل ما فيه من مستلزمات يحقق الأمن في الدنيا والسعادة في الآخرة، قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ} (١).

فهناك في هذه الآية شرطان: الإيمان، والبعد عن الظلم في الإيمان.

وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ} (٢).

وقال تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} (٣).

(١) سورة الأنعام، الآية ٨٢ .

(٢) سورة فصلت، الآية ٣٠ .

(٣) سورة طه، الآية ١٢٤ .

إن عموم الناس يتطلعون إلى مثل يسировن على نهجه ويحذون حذوه ، ومن هنا ضل كثير من الناس وتخطوا في اختيار تلك الشخصيات التي يسировن على خطاهم ، فمن البشر من اختار أسلافه من الآباء، كما أخبر عنهم المولى (سبحانه وتعالى) بقوله: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ} ^(١).

ومنهم من اختار الرؤساء والزعماء ، الذين قال الله تعالى فيهم: {وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَا . رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمُ لَعْنًا كَبِيرًا} ^(٢) وفي الوقت الحاضر نجد بعض الناس من الشباب والفتيات تخذوا مثلاً وقدوة لهم من أهل الفن والرياضة ، ممن دأبت وسائل الإعلام على اختلافها بتلميعهم وتزيينهم .

وأما أهل الإيمان الحق الذين آمنوا بالله ورسله فإنهم لم يتخطوا في هذا الجانب ، فقد وجدوا في رسل الله (عليهم الصلاة والسلام) القدوة الكاملة والمثل الأعلى ، ولقد قال المولى (سبحانه وتعالى) في شأن رسوله محمد (صلى الله عليه وسلم): {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} ^(٣). هذا الرسول هو القدوة الحق قدوة في دينه ، قدوة في خلقه وتعامله ، قدوة في كل شأن من شؤونه . فمن وفق لإتباعه والسير على نهجه، فإنه لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة.

وكذلك الإيمان بالملائكة له أثر كبير في حياة الفرد ، فإن الإنسان على سبيل المثال إذا أيقن أن هناك ملائكة يكتبون ما له من حسنات وما عليه من سيئات فإن ذلك يوقظ عنده المراقبة لأعماله خشية من الحساب ورغبة في الثواب ، مما يكون له الأثر الكبير في استقامة سلوكه وصلاح أعماله التي تكون سبباً في حياة آمنة ونجاة في الآخرة .

(١) سورة الزخرف، الآية ٢٣ .

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان ٦٧ ، ٦٨ .

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٢١

والإيمان بالكتب يجعل للإنسان دليلاً ومنهجاً يسير عليه في هذا الحياة بطريق سليم دون ترد في مسالك الشيطان، فالقرآن الكريم الذي أنزله الله سبحانه وتعالى خاتماً للكتب ومهيماً عليها {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ} ^(١) . نزل هدى للعالمين ورحمة للمؤمنين {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ} ^(٢) . وقال تعالى: {وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} ^(٣) .

والإيمان باليوم الآخر كابح للشهوات ورادع للزوات ، ودافع إلى عمل الخيرات ، وذلك حين يعرف الإنسان أن هذه الحياة ليست هي نهاية المطاف كما هي المشركون الذين حكى الله سبحانه وتعالى قولهم: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} ^(٤) ، ولكن ثمة يوم يبعث فيه الناس يوم القيامة وفي هذا رد الله سبحانه وتعالى على المنكرين بقوله: {قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ} ^(٥) . وفي هذا اليوم سيجازى كل بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} ^(٦) .

والإنسان في هذه الحياة تقلقه المصائب ، وتكدر عليه صفو العيش ، ولكن يأتي الإيمان بالقضاء والقدر — لمن وفق لذلك — فيذهب ذلك القلق ، ويزيل ذلك النكد ، وليس الأمر كذلك فحسب ، إنا قد تتحول عنده شيء من تلك المصائب إلى باب من أبواب النعمة بالصبر والاحتساب {إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} ^(٧) ، وقال عليه

(١) سورة المائدة ، الآية ٤٨ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٨٥ .

(٣) سورة الأعراف، الآية ٥٢

(٤) سورة الأحزاب، الآية ٢١ .

(٥) سورة التغابن، الآية ٧ .

(٦) سورة الزلزلة، الآيتان ٧ ، ٨ .

(٧) سور الزمر، الآية ١٠ .

عليه الصلاة والسلام: ((أيما امرأة مات لها ثلاثة من الولد كانوا لها حجاباً من النار قالت امرأة واثنان قال واثنان))^(١).

عثرت امرأة من الصالحات ، فأصيب رجلها فلما نظرت على الدم ضحكت ، فقيل لها عجباً لك، تضحكين وقد أصبت ، قالت : أنساني حلاوة أجره مرارة عذابه .

الفصل الأول

فتنة المال

المبحث الأول : التعريف بفتنة المال

المال هو ما يملكه الإنسان من نقد ومعادن ثمينة ومنازل ومراكب ونحو ذلك مما يكون فيه الابتلاء والامتحان لله سبحانه وتعالى للعبد .

وحب المال من طبيعة بني آدم ، كما في قوله سبحانه وتعالى : {وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا} ^(١) ، وقال سبحانه : {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا} ^(٢).

وكما أخبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فعن أنس قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : «لو كان لابن آدم واديان من مال لا يتغى واديا ثالثا ولا يملأ جوف بن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» ^(٣).

وعن أنس بن مالك عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : «لو كان لابن آدم واد من ذهب أحب أن له واديا آخر ولن يملأ فاه إلا التراب والله يتوب على من تاب» ^(٤).

وعن ابن عباس قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : «لو أن لابن آدم ملء واد مالا لأحب أن يكون إليه مثله ولا يملأ نفس بن آدم إلا التراب والله يتوب على

(١) سورة الفجر، الآية ٢٠.

(٢) سورة الكهف، الآية ٤٦.

(٣) صحيح مسلم ٧٢٥/٢.

(٤) صحيح مسلم ٧٢٥/٢.

من تاب» قال بن عباس فلا أدري أمن القرآن هو أم لا وفي رواية زهير قال فلا أدري أمن القرآن لم يذكر بن عباس .^(١)

وعن أبي هريرة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «قلب الشيخ شاب على حب اثنتين طول الحياة وحب المال».^(٢)

وعن أنس قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «يهرم بن آدم وتشب منه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر».^(٣)

قوله (صلى الله عليه وسلم): «قلب الشيخ شاب على حب اثنتين حب العيش والمال» هذا مجاز واستعارة ومعناه أن قلب الشيخ كامل الحب للمال محتكم في ذلك كاحتكام قوة الشاب في شبابه هذا صوابه وقيل تفسيره غير هذا مما لا يرتضى ١٠٤٧ قوله (صلى الله عليه وسلم): «(وتشب منه اثنتان) بفتح التاء وكسر الشين وهو بمعنى قلب الشيخ شاب على حب اثنتين».^(٤)

وعن أبي هريرة يبلغ به النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «قلب الشيخ شاب على حب اثنتين حب العيش والمال».^(٥)

وفتنة المال فتنة عظيمة لا يسلم منها إلا من سلمه الله سبحانه وتعالى ، ولقد جاء خبر الصادق المصدوق نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي ما ترك خيراً إلا ودل الأمة عليه ، ولا ترك شراً إلا وحذرهما منه ، جاء الخبر بوقوع فتنة المال في هذه الأمة ، أخبر بذلك نصحاً لأمته ليتقوا شر هذه الفتنة، ورد عن هذه الفتنة بعدد من الأحاديث ، منها على سبيل المثال ما رواه أبو سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: قام رسول الله (صلى الله

(١) صحيح مسلم ٧٢٥/٢.

(٢) صحيح مسلم ٧٢٤/٢.

(٣) صحيح مسلم ٧٢٤/٢.

(٤) النووي، ١٣٨/٧ .

(٥) صحيح مسلم ٧٢٤/٢.

عليه وسلم) فخطب الناس فقال: « لا والله ما أخشى عليكم أيها الناس إلا ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا فقال رجل يا رسول الله أيأتي الخير بالشر فصمت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ساعة ثم قال كيف قلت قال قلت يا رسول الله أيأتي الخير بالشر فقال له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إن الخير لا يأتي إلا بخير أو خير هو إن كل ما ينبت الربيع يقتل حبطاً^(١) أو يُلْمُ^(٢) إلا آكلة الخضر^(٣) أكلت حتى إذا امتلأت خاصرتها^(٤) استقبلت الشمس ثلّطت^(٥) أو بالت ثم اجترت^(٦) فعادت فأكلت فمن يأخذ مالا بحقه يبارك يبارك له فيه ومن يأخذ مالا بغير حقه فمثله كمثل الذي يأكل ولا يشبع، ويكون عليه شهيداً يوم القيامة^(٧)».

جاء الأخبار بالفتنة من النبي (صلى الله عليه وسلم) وتصوير هذه الفتنة لأمته ، فقد شبه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الفتنة بزهرة الدنيا وزينتها ، والمراد بالزهرة والزينة والبهجة : الزهرة مأخوذة من زهرة الشجر وهو نورها بفتح النون والمراد ما فيها من أنواع المتاع والعين والثياب والزروع وغيرها مما يفتخر الناس بحسنه مع قلة البقاء، وهذه هي أنواع من المال التي يفتخر بها الناس . وقد استشكل على الصحابة (رضي الله عنهم) هذا التحذير من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأن زهرة الدنيا نعمة من الله فهل تعود هذه

(١) حبطاً : الحبط انتفاخ البطن من كثرة الأكل يقال حبطت الدابة تحبط حبطاً إذا أصابت مرعى طيباً فأمعنت في الأكل حتى تنتفخ فتموت وروى بالخاء المعجمة من التخبط وهو الاضطراب والأول المعتمد.

(٢) يلم : أي يقرب من الهلاك . (ابن حجر ، فتح الباري ٣٤٧/١١) .

(٣) آكلة الخضر : الخضر بفتح الخاء وكسر الضاد المعجمتين للأكثر وهو ضرب من الكأل يعجب المشاة وواحدة خضرة . (المرجع نفسه) .

(٤) خاصرتها : تثنية خاصرة وهما جانبا البطن من الحيوان . (المرجع نفسه) .

(٥) ثلّطت : أي القت ما في بطنها رقيقاً . (المرجع نفسه) .

(٦) اجترت : اجترت بالجيم أي استرفعت ما أدخلته في كرشها من العلف فأعادت مضغه . (المرجع نفسه) .

(٧) أخرجه البخاري ، البخاري ٥٣٢/٢ . ومسلم ٧٢٧/٢ .

النعمة نعمة، فقال السائل (يا رسول الله، أيأتي الخير بالشر يا رسول الله؟) وهو استفهام استرشاد لا إنكار.

فجاءت إجابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إن الخير لا يأتي إلا بخير، والرزق إذا كثر هو من جملة الخير وإنما يعرض له الشر بعارض البخل به عمن يستحقه والإسراف في إنفاقه فيما لم يشرع وأن كل شيء قضى الله أن يكون خيراً فلا يكون شراً وبالعكس ولكن يخشى على من رزق الخير أن يعرض له في تصرفه فيه ما يجلب له الشر.^(١)

والمال بحد ذاته ليس خيراً حقيقياً وإنما يكون خيراً في جهة التصرف به، فتعبد الله سبحانه وتعالى به هو الخير، فمن تعبد الله سبحانه وتعالى بطلب المال هو إخلاص النية في طلبه أولاً قبل حصوله فهذا من الخير، وكذلك حمد الله سبحانه وتعالى وشكره على تحصيله هو الخير، إضافة إلى صرفه في وجوهه المشروعة مما يعود على الإنسان وعلى غيره بالنفع والثواب من الله سبحانه وتعالى.

ولقد شبه المصطفى (صلى الله عليه وسلم) المال أنه (خضرة حلوة) ومعناه أن صورة الدنيا حسنة مونقة والعرب تسمي كل شيء مشرق ناضر اخضر، وقال بن الأنباري قوله المال خضرة حلوة ليس هو صفة المال وإنما هو للتشبيه كأنه قال المال كالبقلة الخضراء الحلوة أو التاء في قوله خضرة وحلوة باعتبار ما يشتمل عليه المال من زهرة الدنيا أو على معنى فائدة المال أي أن الحياة به أو العيشة أو أن المراد بالمال هنا الدنيا لأنه من زينتها.

وقد شبه المصطفى (صلى الله عليه وسلم) حال الإنسان مع الدنيا بحال البهيمة مع الكلاء، قال الطيبي يؤخذ منه أربعة أصناف فمن أكل منه أكل مستلذ مفرط منهمك حتى تنتفخ أضلاعه ولا يقلع فيسرع إليه الهلاك ومن أكل كذلك لكنه أخذ في الاحتيال لدفع الداء بعد أن استحکم فغلبه فأهلكه ومن أكل كذلك لكنه بادر إلى إزالة ما يضره وتحيل في دفعه حتى انهضم فيسلم ومن أكل غير مفرط ولا منهمك وإنما اقتصر على ما يسد جوعته

(١) انظر: ابن حجر، فتح الباري ١١/٢٤٦.

ويعسك رmqه فالأول مثال الكافر والثاني مثال العاصي الغافل عن الإقلاع والتوبة إلا عند فوقها والثالث مثال للمخلط المبادر للتوبة حيث تكون مقبولة والرابع مثال الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة.^(١)

وقال الزين بن المنير في هذا الحديث وجوه من التشبيهات بديعة:

أولها: تشبيه المال ونموه بالنبات وظهوره.

ثانيها: تشبيه المنهمك في الاكتساب والأسباب بالبهاائم المنهمكة في الأعشاب.

وثالثها: تشبيه الاستكثار منه والادخار له بالشره في الأكل والامتلاء منه.

ورابعها: تشبيه الخارج من المال مع عظمتة في النفوس حتى أدى إلى المبالغة في البخل به بما تطرحه البهيمة من السلاح ففيه إشارة بديعة إلى استقذاره شرعا .

وخامسها: تشبيه المتقاعد عن جمعه وضمه بالشاة إذا استراحت وحطت جانبها مستقبلة عين الشمس فإنها من أحسن حالاتها سكونا وسكينة وفيه إشارة إلى إدراكها لمصالحها .

وسادسها: تشبيه موت الجامع المانع بموت البهيمة الغافلة عن دفع ما يضرها .

وسابعها: تشبيه المال بالصاحب الذي لا يؤمن أن ينقلب عدوا فإن المال من شأنه أن يحرز ويشد وثاقه حبا له وذلك يقتضي منعه من مستحقه فيكون سببا لعقاب مقتنيه.

وثامنها: تشبيه آخذه بغير حق بالذي يأكل ولا يشبع.^(٢)

كما أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) أن من علامة الساعة كثرة المال ، عن عمرو بن تغلب قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «إن من أشراط الساعة أن يفيض المال ويكثر الجهال وتظهر الفتن وتفشو التجارة».^(٣)

(١) ابن حجر ، فتح الباري ١١ / ٢٤٨ .

(٢) ابن حجر ، فتح الباري ١١ / ٢٤٨ .

وأخبر أيضاً أن أمته ستفتن بالمال فتنة المال، عن كعب بن عياض قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: «إن لكل أمة فتنة وإن فتنة أمي المال لفظ حديثهما سواء ورواه أيضا الليث بن سعد وغيره عن معاوية بن صالح»^(٢).

(١) الحاكم ، ٩/٢ . وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وإسناده على شرطهما صحيح إلا أن عمرو

بن تغلب ليس له راو غير الحسن.

(٢) شعب الإيمان ٢٨٠/٧ .

المبحث الثاني

خطر فتنة المال

إن فتنة المال ليست بالأمر الهين على المؤمن ، قال سبحانه وتعالى : { إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ }^(١). ولقد خشى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على أمته فتنة المال من بعده ، بقوله : «فو الله لا الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم»^(٢).

وكذلك خشيه المتقون على أنفسهم ، وإذا كان صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهم أتقى الأمة وأبعدها عن الافتتان بالدنيا يخشون على أنفسهم من هذا الخطر ، فكيف الحال بغيرهم ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال ما منا أحد أدرك الدنيا إلا قد مالت به ومال بها إلا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما^(٣).

وتأمل حال ابن عمر (رضي الله عنهما) في خشيته على نفسه من الدنيا ، دخل عليه بن مطيع يعود فرآه قد نحل جسمه فقال: لصفية ألا تلطفينه لعله يرتد إليه جسمه تصنعين له طعاما قالت أنا لنفعل ذلك ولكنه لا يدع أحدا من أهله ولا من يحضره إلا دعاه عليه وكلمه أنت في ذلك فقال له بن مطيع يا أبا عبد الرحمن لو اتخذت طعاما فيرجع إليك جسمك فقال إنه ليأتي علي ثمان سنين لا أشبع فيها شبعة واحدة أو قال لا أشبع فيها إلا شبعة واحدة فالآن تريد أن أشبع حين لم يبق من عمري إلا ظمأ حمار وقد مضى عن ابن عمر وغيره في مثل هذا آثار في باب الطعام^(٤).

(١) سورة التغابن، الآية ١٥.

(٢) أخرجه البخاري ١١٥٢/٣.

(٣) أخرجه الحاكم ٦٤٥/٣، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٤) البيهقي ، شعب الإيمان ٣٧٣/٧ .

وإن لفتنة المال أخطاراً متنوعة ، وكما جاء الإسلام بالحفاظ على الضرورات الخمس (الدين ، والنفس، والعقل، والمال ، والعرض) ، فإن فتنة المال سبب في ضياعها ، فخطرها على الدين ظاهر ، فهي سبب في ضياع الدين أو نقصه، فقد أخبر بذلك الصادق المصدوق (صلى الله عليه وسلم) فعن الضحاک بن قیس كتب إلى قیس بن الهيثم حيث مات يزيد بن معاوية سلام عليك أما بعد فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: «إن بين يدي الساعة فتنا كقطع الدخان يموت منها قلب الرجل كما يموت بدنه يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع فيها أقوام دينهم بعرض من الدنيا قليل»^(١).

وكذلك خطرها على النفس ، فكم من نفس قتلت بسبب المال ، بل قد يتعدى الأمر الصورة الفردية إلى القتل الجماعي ، فتقوم الحروب بسبب نزاع معين على نوع من المال .

وأما ضياع العقل وإن لم يكن بصورة ظاهرة ، لكن من أسبابه فتنة المال ، كأن يتعرض الإنسان إلى صدمة مالية بخسارة كبيرة فيكون في ذلك ضياع لعقله .

أما ما يتعلق بضياع العرض فهذا ظاهرة في هذا العصر خاصة ، فهناك فئات من النساء امتنهن مهنة البغاء والدعارة من أجل المال وكسبه ، وقد لا يكون السبب هو الحاجة الماسة إليه ، بل مزيد من الثراء في هذه المهنة نعوذ بالله من سوء الحال . وليس الأمر مقتصرًا على النساء فحسب بل من الرجال من يتخذ هذه المهنة وسيلة لجلب المال فيفتح مثلاً داراً للبغاء تكون له مصدراً لكسب المال .

أما ضياع المال فيكون المفتون في المال سبب في ضياع أموال غيره من الناس سواء بالسرقة أو الغش أو الاحتيال أو أي صورة أخرى من الصور المحرمة في الاستيلاء على أموال الآخرين .

(١) أخرجه الحاكم ٦٠٣/٣ .

وضياع النسل يكون إما بانشغال صاحب الفتنة بماله عن ذريته مما يؤدي إلى ضيعهم وفسادهم ، أو بصورة أخرى لها ارتباط بضياع العرض ، وما ينتج عنه من أولاد غير شرعيين لا يعرف لهم آباء ولا أمهات .

أضف إلى ذلك أن المال سبب في الفخر والخيلاء والتكبر والارتفاع على القراء الثروة في الدنيا لكونه ظاهراً فيها وحاجات أهلها إليه.

ومن أخطار فتنة المال أنها توقع الإنسان في محاذير مختلفة، أياً كان نوع ذلك المال، سواء كان نقداً أو عقاراً أو سلعة أو ذلك. ومن هذه الأخطار على سبيل المثال : أكل أموال الناس بالباطل ، وقد ورد النهي عن ذلك بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} ^(١) .

وفي السنة المطهرة جاء التهديد والوعيد على ذلك ، فعن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أن أروى خاصمته في بعض داره فقال: دعوها وإياها فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: «من أخذ شبرا من الأرض بغير حقه طوقه في سبع أرضين يوم القيامة» اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها واجعل قبرها في دارها قال فرأيتها عمياء تلمس الجدر تقول أصابني دعوة سعيد بن زيد فبينما هي تمشي في الدار مرت على بئر في الدار ف وقعت فيها فكانت قبرها .^(٢)

ومنها أكل الربا ، الذي جاء التحذير منه في القرآن والسنة ، قال تعالى: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا} ^(٣) .

(١) سورة النساء ، الآية ٢٩ .

(٢) أخرجه مسلم ١٢٣٠/٣ .

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٧٥ .

وقال تعالى: {فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ} ^(١) .

و عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» ^(٢) .

ومنها : أكل أموال اليتامى ، قد لا يتورع المفتون بالمال من أكل أموا اليتامى ، وقد جاء التهديد والوعيد على ذلك بقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا} ^(٣) .

ومنها استغلال الوصايا والأوقاف التي أوقفت على الأعمال الخيرية من بعض المفتونين للمصالح الخاصة، ولقد كثير من هذه الأوقاف في بعض البلدان الإسلامية بسبب طمع الطامعين.

ومن الأخطار : منع الزكاة ، إنما يكون من شدة الحرص على المال والشح في إنفاقه في وجوهه المشروعة ، الواجبة منها والمندوبة ، ولقد جاء الوعيد الشديد لمناعي الزكاة بنصوص عدة من القرآن والسنة ، منها قوله تعالى : {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ} ^(٤) .

(١) سورة البقرة، الآية ٢٧٩

(٢) أخرجه البخاري ١٠١٧/٣ ، رقم ٢٦١٥ .

(٣) سورة النساء ، الآية ١٠ .

(٤) سورة التوبة ، الآيتان ٣٤ ، ٣٥ .

المبحث الثالث

صور معاصرة لفتنة المال

إن الفتنة بالمال فتنة قديمة، ولكنها في هذا الزمان أشد، وذلك أن الدنيا بسطت على الناس، وتنوعت وسائل المكاسب، وتطورت طرق الحيل والخداع، إضافة اتساع الأسواق وتنوعها، وكثرت المصارف وتعددها . فأصبحت هذه المصارف والبنوك تتسابق في جلب الأموال وكسب العملاء بطرق مختلفة وبرامج متنوعة، ومن أمثلة ذلك برامج التمويل وصناديق الاستثمار وغير ذلك من البرامج المتنوعة.

ولم يكن الحرص على كسب المال وجلب العملاء مقصوراً على البنوك والصارف فحسب ، بل تعدى ذلك إلى جهات كثيرة كوسائل الإعلام مثلاً التي أخذت تطرح بعض المسابقات التي تجني من ريعها مالاً تدفع منه ما وعدت به من الجوائز .

وغير ذلك وسائل الاتصال مثلاً أصبحت تتعاون مع بعض الجهات في كسب الأموال وذلك بطرح بعض الأرقام الهاتفية للاتصال أو الرسائل وتجني من ورائها أموالاً طائلة يختلف سعرها عن سعر الاتصال المعتاد .

ومن مظاهر الفتنة بالمال في هذا الزمان هو السباق المحموم على تجارة الأسهم وتداولها ، لما ينتج عنها في بعض الأحيان من الأرباح الطائلة من غير ولا عناء .

وليست الفتنة بالمال في هذا العصر محصورة في الأموال النقدية والأرصدة البنكية ، بل هي في الأموال العينية أيضاً كالعقارات والسيارات وأنواع البضائع المختلفة ، فأصبح لكل نوع من البضائع تجاره المعروفون .

ومن مظاهر الفتنة في المال سعي البعض منهم إلى البروز في قائمة أغنياء الأغنياء ، سواء على المستوى الإقليمي أو العالمي ، أو كذلك السعي لامتلاك شركات عالمية لها صيتها وسمعتها في العالم .

فعلى سبيل المثال جاء في مواقع (الإنترنت) قائمة أغنى أغنياء العالم لعام ٢٠٠٥

- بيل جيتس يتصدر القائمة العالمية ، حيث تصدر لائحة أغنى أغنياء العالم التي تعدها مجلة "فوربس" الأمريكية الأميركي مؤسس شركة مايكروسوفت بيل جيتس متمسكا بعرش أصحاب المليارات للعام الحادي عشر على التوالي رغم انخفاض ثروته بشكل طفيف بنسبة ٠.٢ % إلى ٤٦.٥ مليار دولار مقابل ٤٦.٦ مليار في العام الماضي، لكن يلاحقه بسرعة رجل الأعمال الأميركي وارين بافيت إذ ارتفعت ثروته من ٤٢.٩ مليار دولار العام الماضي إلى ٤٤ مليارا حاليا . ضمت القائمة ١٢ رجل أعمال عربي ذكرهم بأسمائهم ومقدار ثرواتهم .

كما تضم القائمة، ٦٨ امرأة من ضمنهم ٩ عصاميات ومليارديرات ينتمون لدول تنضم لأول مرة مثل كازاخستان وبولندا وأوكرانيا وإيسلندا. كما تضمنت ٥ اسرائيلين بارتفاع ٢ عن العام الماضي بثروة تقدر بـ ١٢.٣ مليار دولار.

وانضم إلى القائمة الجديدة ١٣١ مليارديرا جديدا من ٢٧ دولة بينهم ٦٩ أميريكيا و ٣٨ أوروبيا من ضمنهم ٩ من روسيا، بمن فيهم الينا باتورينا أول مليارديرة روسية، بالإضافة إلى ناريش جويل مؤسس "جيت ايرويس" اكبر خطوط جوية خاصة في الهند.

وقالت جريدة "الشرق الأوسط" اللندنية يوم ١٢-٣-٢٠٠٥ انه على الرغم من ارتفاع إجمالي الثروة العربية في نادي أصحاب المليارات إلى ٦٧.١ مليار دولار، إلا أن نسبتها ما زالت ضئيلة جدا عند مقارنتها بإجمالي ثروة ٦٩١ مليارديرا (من بينهم ٣٨٨ عصاميا) ينتمون إلى ٤٧ بلدا، بلغت ٢.٢ تريليون دولار، مرتفعة ٣٠٠ مليار عن العام الماضي نتيجة تحسن أسعار المواد الخام والأسهم^(١).

أصدرت ميريل ليتش تقريراً أشارت فيه إلى زيادة نسبة الأغنياء في عام ٢٠٠٤ لتبلغ ٨.٢ % . وكانت الولايات المتحدة الأكثر حظاً في أعداد المليونيرات الجدد، حيث وصل

عددهم عام ٢٠٠٤ إلى ٢.٨ مليون مليونير بثروة إجمالية تقدر بـ ٩.٣ تريليون دولار (الترليون هو ألف مليار ، والمليار هو ألف مليون . يعني أن الترليون = مليون مليون) . نسبة نمو الأغنياء في الولايات المتحدة كانت ٩.٩% ، في حين كانت أوروبا نسبة زيادة الأثرياء فيها بمعدل ٤% نظراً لارتفاع الضرائب التي أعاقَت تكس الثروات.

ومن جهة أخرى أصدرت "إنفورميشن تكنولوجي بيلشينغ" باللغة الإنجليزية قائمة أثرياء العرب الخمسين ، بلغ حجم ثروتهم ١٣٨ مليار دولار أي ما يعادل (٥١٧ مليار ريال) وهو ما يعادل الدخل الشهري لـ ٢٠٠ مليون عربي ، بحسب متوسط الدخل الشهري للعربي الذي يبلغ ٦٠٠ دولار شهرياً .^(١)

وأما ما يتعلق بالمفاخرة بامتلاك العقارات الفارهة وناطحات السحاب ، فهذا ينطبق



عليه قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) كما جاء في حديث جبريل من أمارات الساعة «وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان»^(٢) : فأصبح التطاول في البنيان على مستوى الدول والمدن والشركات والأفراد ، فظهرت المصطلحات " ناطحات السحاب " و "أعلى برج في العالم " .

فتجد على سبيل المثال أن دبي تبني أعلى برج في العالم يتوقع أن يزيد ارتفاعه عن ٧٠٠ متر غير أن الارتفاع النهائي للبرج سيظل سرا حتى آخر لحظة..وانتهت مرحلة وضع أساسات "برج دبي" في آذار/مارس الماضي بعد إقامة ١٩٢ عموداً على عمق ٥٠ متراً يشدها بعضها إلى بعض حزام سميكة من الاسمنت المسلح ، والبرج الذي يرتفع بسرعة طابق كل أسبوع سيشكل البناء الرئيسي في مشروع عمراني ضخم بقيمة ٢٠ مليار دولار يتوقع

(١) <http://mahjoob.com/ar/forums/showthread.php?t=٣١٩٧١>

(٢) أخرجه مسلم ٣٧/١ .

أن يغير ملاح المدينة.. ويندرج مشروع "برج دبي" في إطار سياسة المشاريع الكبرى اللافتة للأنظار التي تتبعها سلطات دبي لتجعل من هذه المدينة التي يربو عدد سكانها عن مليون نسمة إحدى أهم الوجهات السياحية العالمية .

وضح روبرت بوث المدير التنفيذي في الشركة الإماراتية التي تنفذ المشروع "سيتم استخدام المبنى لأغراض متعددة مشيراً إلى وجود مساحة ٣٤٥ ألف متر مربع من المبنى مغطاة. ويضم المبنى محلات تجارية وأماكن للترفيه وفندقاً ومباني سكنية وأجنحة خاصة للمؤسسات وحديقة بانورامية تطل من عل على المدينة وان اغلب الشقق الـ ٧٠٠ التي توجد في البرج والتي تطل كلها على المدينة بيعت لمستثمرين من مختلف مناطق العالم.

ونالت عقد إنشاء البرج الذي تبلغ قيمته مليار دولار شركة "سامسونج" الكورية الجنوبية. وتبلغ قيمة المشروع بكافة مكوناته مليار دولار. ويتوقع أن يتم تدشينه نهاية ٢٠٠٨. وسيطل برج دبي على "دبي مول" الذي يتوقع أن ينجز نهاية ٢٠٠٧ ليكون أكبر مركز تسوق في العالم يضم فندقاً فاخراً وناطحات سحاب وشققاً وبحيرات اصطناعية وحدائق محاطة كلها بجادة بطول ثلاثة كيلومترات . أما عن ارتفاع البرج فيقول بوث "سيكون عليكم التخمين بشأن ذلك" مشيراً إلى أن شخصين فقط سيكونان على إطلاع على طول البرج رئيس الشركة والمسئول عن المشروع^(١).

أعلى منزل خاص في العالم

وفي المنازل الخاصة مفاخرة أيضاً ، فقد جاء في «الشرق الأوسط» : عندما اشترى لاكشمي ميتال ملك الصلب الهندي الذي يدير ميتال ستيل وثالث أغنى رجل في العالم، بيته في لندن مقابل ١٢٨ مليون دولار في شهر ابريل الماضي، كان ذلك أعلى سعر يدفع في منزل خاص في العالم. إلا أن عقارا انجليزيا آخر يمكن أن يحطم هذا الرقم القياسي. فـ

UPDOWN COURT وهو عقار جديد في مقاطعة سري، عرض للبيع بـ ٧٠ مليون جنيه استرليني (١٣٥ مليون دولار تقريبا بمعدلات الأسعار الحالية). ويقال أن القصر الذي يقع وسط ٥٨ فدانا اكبر من المساحة المشتركة لقصري بكنغهام وهامبتون كورت معا .

ويضم العقار ٥ حمامات سباحة، وممرًا للسيارات من الرخام الأسود ودار سينما خاصة وملعبا للبولينغ وكراجا تحت الأرض يسع ٨ سيارات وإسطبلا لخمسة خيول. كما يوجد بالقصر غرفة أمن لحماية السكان في حالة تعرض القصر لهجوم إرهابي أو محاولة اختطاف. ويضم القصر ١٠٣ غرف بما فيها ٢٢ غرفة نوم بحمام خاص.

وقد طور القصر ليزلي الن فيركو من شركة ريمر انفستمنتس. وكان اشتراه بمبلغ ٢٠ مليون جنيه إسترليني في عام ٢٠٠٢، ويقال انه استثمر ٣٠ مليون جنيه إسترليني آخر ليناسب بليونير عربي أو روسي يتوقع أن يشتريه. وطبقا لموضوع في صحيفة ايفننغ ستاندرد اللندنية، فإن الن فيركو اقترض ٤٠ مليون جنيه إسترليني لتمويل تطوير القصر. ويشمل المبلغ فائدة سنوية تصل إلى ٢.٥ مليون جنيه.

كما ذكرت قائمة بأعلى خمسة عقارات في كل قارة، بذكر أسعارها ومواصفاتها ومسوقها.^(١)

(١) انظر التفاصيل في جريدة الشرق الأوسط، ٢٦/٩/٢٠١٤هـ.

المبحث الرابع

أثر العقيدة في النجاة من فتنة المال

لا شك أن هذه الفتنة لا نجاة منها ولا خلاص من أخطارها إلا بهذا الدين فدين الإسلام هو الذي جاء بالدواء الواقى والعلاج الناجع من هذه الفتنة، ومن ذلك: -

أولاً : الإيمان بالله سبحانه وتعالى .

فالإيمان بالله سبحانه وتعالى ومعرفة ماله من صفات الكمال ونعوت الجلال فيه شفاء من هذه الفتنة ن فعلى سبيل المثال فإن إدراك المؤمن أن الله سبحانه وتعالى هو الغني كما في قوله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} ^(١). وقوله: {وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ} ^(٢) . ويعرف الإنسان بهذا أيضاً حقيقة نفسه أنه هو الفقير مهما بلغت أملاكه ، ومهما وصلت أرصدته .

ثم إن هناك حقيقة أخرى لا بد أن يعرفها الإنسان في للوقاية من فتنة المال ، وهي أن ما حصل عليه مال ، وما امتلك من عقار ، أو شركات أو نحوها إنما ذلك كله من الله سبحانه وتعالى: {وَمَا بِكُمْ مِّنْ نُّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ} ^(٣) ، {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} ^(٤). ولقد ذم الله سبحانه وتعالى قارون الذي نسب المال إلى علمه حيث قال: {قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي} فنسبه إلى نفسه ، فرد الله سبحانه وتعالى عليه قائلاً: {أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن

(١) سورة فاطر، الآية ١٥ .

(٢) سورة محمد، الآية ٣٨ .

(٣) سورة النحل، الآية ٥٣ .

(٤) سورة الذاريات، الآية ٥٨ .

ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ»^(١). إذا فأصحاب الأموال والشركات والعقارات لهم عبرة وعظة فيمن مضى من البشر من أمثالهم الذين فاخروا بأموالهم .

ومن جوانب النجاة من فتنة المال معرفة الكثير من أسماء الله سبحانه وتعالى والتأمل فيها ، فالله سبحانه وتعالى هو (المعطي) ولا يمكن لأحد أن يدرك شيئاً من المال إلا بعتاء الله سبحانه وتعالى ، وهو (المانع) فإذا منع الله سبحانه وتعالى عطاءه عن أحد من البشر فلا يمكن لأحد أن يعطيه .

ومن أسماء الله سبحانه وتعالى التي بها يسلم الإنسان من فتنة المال (الرزاق) فهذا من أسماء الله سبحانه وتعالى على وزن (فعال) أي كثير الرزق ، وهو الذي يرزق في إكثار وسعة، فإذا استقرت عقيدة الإيمان بهذا السم في قلب الإنسان كان اعتماده على الله سبحانه وتعالى في طلب الرزق ، ولا يتعلق قلبه بالأسباب الدنيوية فحسب ، ومن ناحية أخرى فإنه إذا حرم رزقاً معيناً فيعلم أن الله سبحانه وتعالى المعطي والمانع وأن الرزق بيده يهبه لمن يشاء ، كما في قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}^(٢) . حقيقة هذا الوصف وأنه لا يستحقه إلا الله عز وجل فلا ينتظر الرزق إلا منه ولا يتوكل فيه إلا عليه.

والثقة بالله سبحانه وتعالى من أهم جوانب النجاة من هذه الفتنة ، عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأت من الدنيا إلا ما قدر له»^(٣).

(١) سورة القصص، الآية ٧٨ .

(٢) سورة الزمر ، الآية ٥٢ .

(٣) سنن الترمذي /٦٤٢.

دعاء الله سبحانه وتعالى واللجوء إليه وقاية من هذه الفتنة ، ومن الأدعية في هذا الشأن ما يلي : -

عن عبد الملك عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: تعوذوا بكلمات كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يتعوذ بهن «اللهم إني أعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من البخل وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر»^(١).

وعن أم سلمة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه كان يدعو بهؤلاء الكلمات «اللهم أنت الأول فلا شيء قبلك وأنت الآخر فلا شيء بعدك أعوذ بك من شر كل دابة ناصيتها بيدك وأعوذ بك من الإثم والكسل ومن عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة الغنى ومن فتنة الفقر وأعوذ بك من المأثم والمغرم» هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه^(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم والمأثم والمغرم ومن فتنة القبر وعذاب القبر ومن فتنة النار وعذاب النار ومن شر فتنة الغنى وأعوذ بك من فتنة الفقر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال اللهم اغسل عني خطاياي بماء الثلج والبرد ونق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب»^(٣).

قوله ومن شر فتنة الغنى ، قال الكرمانى صرح في فتنة الغنى بذكر الشر إشارة إلى أن مضرته أكثر من مضرة غيره أو تعليلها على أصحابه حتى لا يغتروا فيغفلوا عن مفسده أو إيماء إلى أن صورته لا يكون فيها خير بخلاف صورة الفقر فإنها قد تكون خيرا . فتنة الغنى أشد من فتنة الفقر ، فالفقير من الخطر أبعد^(٤).

(١) البخاري ، ٥ / ٢٣٤٣ .

(٢) الحاكم ٢ / ٢٩ .

(٣) البخاري ، ٥ / ٢٣٤١ .

(٤) فتح الباري ١١ / ١٧٧ .

وعن عمرو بن ميمون الأودي قال كان سعد يعلم بنيه هؤلاء الكلمات كما يعلم المعلم الغلمان الكتابة ويقول: إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يتعوذ منهن دبر الصلاة «اللهم إني أعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر» فحدثت به مصعباً فصدقه ^(١).

ومن الأدعية المناسبة المتعلقة بالمال والتي تكون سبباً في السلامة من الفتنة: {وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} ^(٢).

والحسنة عندهم ها هنا النعمة فسأل نعيم الدنيا والآخرة والوقاية من العذاب نسأل الله تعالى أن يمن علينا بذلك ودوامه، وقد اختلفت عبارات السلف في تفسير الحسنة فعن الحسن قال هي العلم والعبادة في الدنيا أخرجه بن أبي حاتم بسند صحيح. وعنه بسند ضعيف الرزق الطيب والعلم النافع وفي الآخرة الجنة.

وتفسير الحسنة في الآخرة بالجنة نقله بن أبي حاتم أيضاً عن السدي ومجاهد وإسماعيل بن أبي خالد ومقاتل بن حيان وعن ابن الزبير يعملون في دنياهم لدنياهم وآخرتهم.

وعن قتادة هي العافية في الدنيا والآخرة وعن محمد بن كعب القرظي الزوجة الصالحة من الحسنات ونحوه عن يزيد بن أبي مالك.

وأخرج بن المنذر من طريق سفيان الثوري قال: الحسنة في الدنيا الرزق الطيب والعلم وفي الآخرة الجنة.

ومن طريق سالم بن عبد الله بن عمر قال: الحسنة في الدنيا المني ومن طريق السدي قال المال ونقل الثعلبي عن السدي ومقاتل حسنة الدنيا الرزق الحلال الواسع والعمل الصالح وحسنة الآخرة المغفرة والثواب وعن عطية حسنة الدنيا العلم والعمل به وحسنة الآخرة

(١) البخاري ، ١٠٣٨/٣ .

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٠١ .

تيسير الحساب ودخول الجنة وبسنده عن عوف قال: من آتاه الله الإسلام والقرآن والأهل والمال والولد فقد آتاه في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة.

ونقل الثعلبي عن سلف الصوفية أقوالاً أخرى متغايرة اللفظ متوافقة المعنى حاصلها السلامة في الدنيا وفي الآخرة واقتصر الكشف على ما نقله الثعلبي عن علي أنها في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار المرأة السوء.

وقال الشيخ عماد الدين بن كثير: الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية ودار رحبة وزوجة حسنة وولد بار ورزق واسع وعلم نافع وعمل صالح ومركب هنيئ وثناء جميل إلى غير ذلك مما شملته عباراتهم فإنها كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا وأما الحسنة في الآخرة فاعلاها دخول الجنة وتوابعه من الأمن من الفزع الأكبر في العرصات وتيسير الحساب وغير ذلك من أمور الآخرة وأما الوقاية من عذاب النار فهو يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا من اجتناب المحارم وترك الشبهات قلت أو العفو محضاً ومراده بقوله وتوابعه ما يلتحق به في الذكر لا ما يتبعه حقيقة.^(١)

ثانياً : الإيمان بالكتب

الإيمان بكتب الله سبحانه وتعالى المتزلة على رسله عليهم الصلاة والسلام فيها من التوجيهات الربانية الكثير لعلاج هذه الفتنة والنجاة منها .

وعلى رأس هذه الكتب (القرآن الكريم) الذي جاء بالسلامة من جميع الفتن ومنها فتنة المال ، ومما يفيد في النجاة من هذه الفتنة ما قصه الله سبحانه وتعالى من قصص أصحاب الأموال الذين كفروا بالله سبحانه وتعالى فأهلكهم الله وأموالهم ، كما جاءت في قصة قارون: {إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ . وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ . قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ} (١).

وقال تعالى مبيناً نهايته وماله وموقف الذين تمنوا أن يكونوا مثله: {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ . وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآئُ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ أَنَّ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَآئُهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} (٢).

ومما جاء من الوقاية من هذه الفتنة في كتاب الله سبحانه وتعالى من التهديد والوعيد لأولئك الذين يغلبون محبة الأموال على محبة الله ورسوله كما في قوله سبحانه: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ

(١) سورة القصص، الآيات ٧٦ - ٧٨ .

(٢) سورة القصص، الآيتان ٨١ ، ٨٢ .

تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينَ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ^(١).

إضافة إلى ما جاء في كتاب الله سبحانه وتعالى من التهديد والوعيد على الذين يكتزون الأموال ويكدسون الأرصدة ويمنعونها من مستحقيها فيقول سبحانه: {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ^(٢) ..

ومن جاب آخر في جوانب النجاة من فتنة المال فإنه قد جاء في كتاب الله سبحانه وتعالى الإفادة فإن المال الذي ينفق في سبيل الله ، فإن النفقة تكون بركة له وزيادة ، فالزكاة إنا سميت زكاة لأنها تزكي المال وتنميه ، قال تعالى في بركة الإنفاق: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ^(٣).

(١) سورة التوبة، الآية ٢٤ .

(٢) سورة التوبة ، الآيتان ٣٤ ، ٣٥ .

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٦١ .

ثالثاً : الإيمان بالرسول

رسل الله سبحانه وتعالى هم أسلم الناس من هذه الفتنة وغيرها من الفتن ، ليس لأنهم لم يجدوا شيئاً أو لم يملكوا مالاً ، لا ، بل إنهم رغبوا عن هذا المال إلى ما عند الله سبحانه وتعالى ، ومنهم من ملك المال فأحسن فيه التصرف كسليمان عليه السلام .

ونبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) سيد البشر وخير الأنبياء يضرب به المثل في السلامة من فتنة المال، فالعلم بحاله (صلى الله عليه وسلم) من الجوانب الهامة في النجاة من الفتن.

فهو القدوة في زهده وصبره على شدائد الدنيا وذلك لأن الله تعالى كان قد اختار له ذلك ووصاه به فقال تعالى: {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ} (١).

ويؤكد هذا اختيار النبي (صلى الله عليه وسلم) الآخرة على الدنيا ، فعن ابن عمر أنه قال: إن جبريل عليه السلام أتى النبي (صلى الله عليه وسلم) فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا (٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنه أن الله تبارك وتعالى أرسل إلى نبيه (صلى الله عليه وسلم) بين أن يكون عبداً نبياً أو ملكاً نبياً فأشار إليه جبريل عليه السلام أن تواضع فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): بل عبداً نبياً (٣) .

ولو تأملنا في علاقة البشر مع المساكين لوجدنا أن أكثر أصحاب الأموال أقل اتصالاً بالمساكين والعيش معهم ، وذلك لوجود الطبقة المالية في هذا الزمان ، كطبقة رجال الأعمال ، وطبقة ذوي الدخل المحدود ، وطبقة الضعفاء والمساكين ، إلا أن خير البشرية

(١) سورة طه، الآية ١٣١ .

(٢) شعب الإيمان: ٢ / ١٦٧ .

(٣) شعب الإيمان: ٢ / ١٦٧ .

(صلى الله عليه وسلم) يدعو ربه أن يكون في زمرة المساكين ، فعن أنس بن مالك قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشني في زمرة المساكين يوم القيامة فقالت عائشة رضي الله عنها لم يا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال لأنهم يدخلون الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفا يا عائشة لا تردي المساكين ولو بشق تمر يا عائشة أحبي المساكين وقربهم فإن الله تعالى يقربك يوم القيامة»^(١).

وعن عمر بن الخطاب قال لما اعتزل النبي (صلى الله عليه وسلم) نسائه فذكر الحديث إلى أن قال: فدخلت على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو مضطجع على حصير فجلست فأدنى عليه إزاره وليس عليه غيره وإذا الحصير قد أثر في جنبه فنظرت ببصري في خزانة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع ومثلها قرظا في ناحية الغرفة وإذا إهاب معلق قال فابتدرت عينا فقلت يا بني الخطاب قلت يا نبي الله ومالي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك وهذا خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار وأنت رسول الله وصفوته وهذه خزانتك فقال يا بن الخطاب أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا قلت بلى^(٢) . فالنبي (صلى الله عليه وسلم) ينظر إلى أبعد من هذه الحياة ، ينظر إلى السعادة في الآخرة تلك السعادة الأبدية التي لا يشوبها مرض ولا هرم ولا موت ، فلو أن أصحاب الأموال نظروا بهذا المنظار لسلموا من الفتنة ولهان عندهم المال .

ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) يشبه الدنيا بالظل المؤقت ، ما في حديث ابن عباس قال دخل عمر بن الخطاب علي النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو على الحصير قد أثر في جنبه فقال يا رسول الله لو اتخذت فراشا أوثر من هذا فقال مالي والدنيا وما للدنيا ومالي

(١) شعب الإيمان: ٢/ ١٦٧ .

(٢) شعب الإيمان ١٦٦/٢ ، رواه مسلم

والذي نفسي بيده ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها^(١).

ولقد كان خير البشرية (صلى الله عليه وسلم) لا يجد في بعض الأحيان ما يشبعه فعن عائشة (رضي الله عنها) قالت ما شبع آل محمد (صلى الله عليه وسلم) منذ قدم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المدينة من طعام بر ثلاثة أيام تباعا حتى مضى أخرجاه في الصحيح من حديث جرير^(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان يأتي على آل محمد (صلى الله عليه وسلم) الشهر ما يوقدون فيه نارا ليس إلا التمر والماء إلا أن يؤتى باللحم^(٣).

وعن أنس بن مالك قال ما أكل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على خوان حتى مات ولا أكل خبزا مرققا حتى مات صلى الله عليه وسلم^(٤).

وعن أنس قال دعي النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى خبز الشعير وإهالة سنخة ولقد سمعته ذات غداة يقول والذي نفس محمد بيده ما أصبح عند آل محمد صاع حب ولا صاع تمر وإن له يومئذ تسع نسوة ولقد رهن درعا له عند يهودي بالمدينة أخذ منه صاعا ما وجد ما يفتكه^(٥).

عن أنس أن نبي الله (صلى الله عليه وسلم) لم يجتمع له غداء ولا عشاء من خبز ولحم إلا على ضفف يعني جماعة قال: البيهقي رحمه الله هكذا وجدت التفسير في الحديث لا أدري من قاله وقد قال أبو عبيد يقول لم يأكل وحده ولكن مع الناس قال أحمد بن يحيى

(١) شعب الإيمان ١٦٦/٢ .

(٢) شعب الإيمان ١٦٨/٢ .

(٣) شعب الإيمان ١٦٨/٢ . ورواه البخاري أيضاً.

(٤) رواه البخاري .

(٥) شعب الإيمان ١٦٩/٢ .

الضعف أن يكون الأكلة أكثر من مقدار الطعام والحفف أن يكون بمقداره وقيل الضفف الضيق والشدة تقول لم يجتمع له وذلك إلا بضيق وشدة^(١).

وإذا كانت هذه حال محمد (صلى الله عليه وسلم) وآله في الطعام في إن حالهم فيما سوى ذلك من الأثاث ليس ببعيد ، عن عائشة قالت كان فراش رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من آدم وحشوه من ليف^(٢).

و عن أبي بردة قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها فأخرجت إلينا إزارا غليظا وكساء ملبدا فقالت في هذا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣).

وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) إذا جاءه المال صرفه في سبيل الله المال لو لم يدخره ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله (صلى الله عليه وسلم) مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب وكانت لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) خالصة وكان ينفق منها على أهله نفقة سنة وما بقي جعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله تعالى^(٤).

وعن أنس قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا يدخر شيئا لغد^(٥).

وعن أنس يذكر أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أهدي له ثلاثة طوائر فأطعم خادمه طائرا فلما كان من الغد أتاه به فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «ألم أنهك أن تحيى شيئا لغد إن الله يأتي برزق كل يوم»^(٦).

(١) شعب الإيمان ١٧٠/٢ .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه مسلم .

(٤) شعب الإيمان ١٧١/٢ . أخرجه في الصحيحين .

(٥) شعب الإيمان ١٧١/٢ .

(٦) شعب الإيمان ١٧٢/٢ .

وعن أبي أمامة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «عرض علي ربي أن يجعل بطحاء مكة ذهباً فقلت لا يا رب ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً فإذا جعت تضرعت وإذا شبعت حمدتك وذكرتك»^(١) .

وعن عائشة قالت دخلت علي امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قطيفة مثنية فانطلقت فبعثت إلى بفراش حشوه الصوف فدخل علي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: «ما هذا يا عائشة قالت: قلت يا رسول الله فلانة الأنصارية دخلت علي فرأت فراشك فذهبت فبعثت إلي بهذا فقال: رديه يا عائشة فوالله لو شئت لأجري الله معي جبال الذهب والفضة»^(٢) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت لو شئنا أن نشبع شعبنا ولكن محمداً (صلى الله عليه وسلم) كان يؤثر على نفسه^(٣) .

هذه الأحاديث وغيرها دليل على زهادته (صلى الله عليه وسلم) في الدنيا واختياره الآخرة على الأولى لعلمه بمعائب الدنيا فلم يرضها لنفسه ولا لمن يحبه من أمته أعاذنا الله من فتنة الدنيا وعذاب الآخرة برحمته .

وإذا كان النبي (صلى الله عليه وسلم) خير البشرية وهو أكرم الخلق عند الله سبحانه وتعالى ، لم يكن من أصحاب الأموال أو أهل التجارات ، بل كان عليه الصلاة والسلام يصيبه في بعض الأوقات شظف العيش ، ولم يكن ذلك ناقصاً من قدره عليه الصلاة والسلام ، ولقد وردت أحاديث كثيرة تدل على حاله (صلى الله عليه وسلم) ، ومنها :-

عن مجاهد أن أبا هريرة كان يقول: الله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع ولقد قعدت يوماً على

(١) شعب الإيمان ١٧٢/٢ .

(٢) شعب الإيمان ١٧٣/٢ .

(٣) شعب الإيمان ١٧٣/٢ .

طريقهم الذي يخرجون منه فمر أبو بكر فسأله عن آية من كتاب الله ما سأله إلا ليشبعني فمر ولم يفعل ثم مر بي عمر فسأله عن آية من كتاب الله ما سأله إلا ليشبعني فمر ولم يفعل ثم مر بي أبو القاسم (صلى الله عليه وسلم) فتبسم حين رأي وعرف ما في نفسي وما في وجهي ثم قال: يا أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال الحق ومضى فتبعته فدخل فاستأذن فأذن لي فدخل فوجد لبنا في قدح فقال من أين هذا اللبن قالوا أهده لك فلان أو فلانة قال أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال: الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها فسأني ذلك فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة كنت أحق أنا أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها فإذا جاء أمرني فكنت أنا أعطيهم وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله (صلى الله عليه وسلم) بد فتيتهم فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت قال: يا أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال خذ فأعطهم قال: فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد علي القدح فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد علي القدح فيشرب حتى يروى ثم يرد علي القدح حتى انتهيت إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) وقد روى القوم كلهم فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إلي فتبسم فقال: أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال: بقيت أنا وأنت قلت صدقت يا رسول الله قال: اقعد فاشرب فقعدت فشربت فقال: اشرب فشربت فما زال يقول اشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكا قال: فأرني فأعطيته القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة.^(١)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لقد توفي النبي (صلى الله عليه وسلم) وما في رفي من شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي فأكلت منه حتى طال علي فكلته ففني.^(١)

وعن عائشة أيضاً قالت: ما شبع آل محمد (صلى الله عليه وسلم) منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال تباعا حتى قبض.^(٢)

وعنها أيضاً رضي الله عنها قالت: ما أكل آل محمد (صلى الله عليه وسلم) أكلتين في يوم إلا إحداهما تمر.^(٣)

وعن قتادة قال: كنا نأتي أنس بن مالك وخبازه قائم وقال: كلوا فما أعلم النبي (صلى الله عليه وسلم) رأى رغيفا مرققا حتى لحق بالله ولا رأى شاة سميطا بعينه قط.^(٤)

وعن سعد قال: إني لأول العرب رميا بسهم في سبيل الله ورأيتنا نغزو وما لنا طعام إلا ورق الحبله وهذا السمر وإن أحدنا ليضع كما تضع الشاة ما له خلط ثم أصبحت بنو أسد تعزرنني على الإسلام خبت إذا وضل سعيي.^(٥)

وعن عائشة قالت: كان فراش رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من آدم وحشوه من ليف.^(٦)

وعنها أيضاً رضي الله عنها قالت: كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه نارا إنما هو التمر والماء إلا أن نؤتى باللحيم.^(٧)

(١) المرجع نفسه.

(٢) البخاري ٢٣٧١/٥.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) المرجع نفسه.

(٥) المرجع نفسه.

(٦) البخاري ٢٣٧١/٥.

(٧) البخاري ٢٣٧٢/٥.

وعن عروة عن عائشة أنها قالت: إن كنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقدت في أبيات رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نار فقلت: ما كان يعيشكم قالت: الأسودان التمر والماء إلا أنه قد كان لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) جيران من الأنصار كان لهم منائح وكانوا يمنحون رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من أبياتهم فيسقيناه ^(١) ولما كانت هذه بعض حال النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه في شأن العيش ، فلم يكن عليه الصلاة والسلام يدعو بكثرة المال ، بل كما يدعو بأن يكون رزقه كفافا ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «اللهم ارزق آل محمد قوتا» ^(٢).

معرفة حقيقة المال

ومن الجوانب الهامة في النجاة من فتنه المال ما ورد في العقيدة الإسلامية من بيان حقيقة هذا المال، ففي الحديث «الدنيا خضرة حلوة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء» ومعنى الدنيا خضرة حلوة يحتمل أن المراد به شيئان أحدهما حسنهما للنفوس ونضارتها ولذتها كالفاكهة الخضراء الحلوة فإن النفوس تطلبها طلبا حثيثا فكذا الدنيا والثاني سرعة فنائها كالشيء الأخضر في هذين الوصفين ومعنى مستخلفكم فيها جاعلكم خلفاء من القرون الذين قبلكم فينظر هل تعملون بطاعته أم بمعصيته وشهواتكم ^(٣).

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: مر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بسذي الحليفة فرأى شاة شائلة برجلها فقال: «أترون هذه الشاة هينة على صاحبها قالوا نعم قال: والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه على صاحبها ولو كانت الدنيا تعدل عند

(١) البخاري ٢٣٧٢/٥.

(٢) البخاري ٢٣٧٢/٥. ومسلم

(٣) النووي ، ٥٥/١٧.

الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء» هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.^(١) وقوله (صلى الله عليه وسلم): «والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه وأشار يحيى بالسبابة فلينظر بم ترجع». ومعناه لا يعلق بها كثير شيء من الماء ومعنى الحديث ما الدنيا بالنسبة إلى الآخرة في قصر مدتها وفناء لذاتها ودوام الآخرة ودوام لذاتها ونعيمها إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالإصبع إلى باقي البحر.^(٢)

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «إن موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها اقرؤوا إن شئتم {فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور}» هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.^(٣) وعن المستورد أخا بني فهر يقول: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: ((ما مثل الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع)).^(٤)

وعن سهل بن سعد قال: كنا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بذي الحليفة فإذا هو بشاة ميتة شائلة برجلها فقال: ((أترون هذه هيئة على صاحبها فو الذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه على صاحبها ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها قطرة أبدا)).^(٥)

وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو يقول: ((الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أو عالما أو متعلما)).^(٦)

(١) الحاكم ٣٤١/٤.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم: ١٧/ ١٩٢.

(٣) الحاكم ، ٣٢٧/٢.

(٤) سنن ابن ماجه ١٣٧٧/٢.

(٥) سنن ابن ماجه ١٣٧٧/٢.

(٦) سنن ابن ماجه: ٢/ ١٣٧٧.

لما أورد الغزالي حديث المستورد في الأحياء عقبة بأن قال: ما ملخصه اعلم أن مثل أهل الدنيا في غفلتهم كمثل قوم ركبوا سفينة فانتبهوا إلى جزيرة معشبة فخرجوا لقضاء الحاجة فحذرهم الملاح من التأخر فيها وأمرهم أن يقيموا بقدر حاجتهم وحذرهم أن يقلع بالسفينة ويتركهم فبادر بعضهم فرجع سريعا فصادف أحسن الأمكنة وأوسعها فاستقر فيه وانقسم الباقيون فرقا الأولى استغرقت في النظر إلى إزهارها المونقة وأثمارها المطردة وثمارها الطيبة وجواهرها ومعادنها ثم استيقظ فبادر إلى السفينة فلقى مكانا دون الأول فنجا في الجملة الثانية كالأولى لكنها اكبت على تلك الجواهر والثمار والإزهار ولم تسمح لنفسه لتركها فحمل منها ما قدر عليه فتشاغل بجمعه وحمله فوصل إلى السفينة فوجد مكانا أضيق من الأول ولم تسمح لنفسه برمي ما استصعبه فصار مثقلا به ثم لم يلبث أن ذبلت الأزهار وبيست الثمار وهاجت الرياح فلم يجد بدا من اللقاء ما استصعبه حتى نجا بحشاشة نفسه الثالثة تولجت في الغياض وغفلت عن وصية الملاح ثم سمعوا نداءه بالرحيل فمرت فوجدت السفينة سارت فبقيت بما استصعبت في البر حتى هلكت والرابعة اشتدت بها الغفلة عن سماع النداء وسارت السفينة فتقسموا فرقا منهم من افترسته السباع ومنهم من تاه على وجهه حتى هلك ومنهم من مات جوعا ومنهم من نهشته الحيات قال فهذا مثل أهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة وغفلتهم عن عاقبة أمرهم ثم ختم بأن قال وما أقبح من يزعم انه بصير عاقل أن يغتر بالأحجار من الذهب والفضة والمهشيم من الأزهار والثمار وهو لا يصحبه شيء من ذلك بعد الموت والله المستعان.^(١)

وعن المستورد بن شداد قال: إني لفي الركب مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذ أتى على سحلة منبوذة قال فقال: «أترون هذه هانت على أهلها قال: قيل يا رسول الله من هوأها ألقوها أو كما قال قال: فو الذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه على أهلها».^(٢)

(١) فتح الباري، ١١/٣٣٣.

(٢) سنن ابن ماجه ٢/١٣٧٧.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر».^(١)

وعن عبد الله قال: اضطلع النبي (صلى الله عليه وسلم) على حصير فأثر في جلده فقلت بأبي وأمي يا رسول الله لو كنت آذنتنا ففرشنا لك عليه شيئاً يقيك منه فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «ما أنا والدنيا إنما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها».^(٢)

وعن أبي الأسود عن أبيه قال: بعث أبو موسى الأشعري إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرؤوا القرآن فقال: أنتم خيار أهل البصرة وقراءهم فأتلوه ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم وإنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة براءة فأنسيته غير أي قد حفظت منها لو كان لابن آدم واديان من مال لا بتغى واديا ثالثا ولا يملأ جوف بن آدم إلا التراب وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات فأنسيته غير أي حفظت منها {يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون} فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة.^(٣)

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس».^(٤)

الصبر على ضيق العيش والقناعة بالقليل

ومن جوانب النجاة من فتنة الدنيا ، الصبر على ضيق العيش ، والاقتصاد في الإنفاق ، فالصبر له منزلة عظيمة في الدين ، فقد وعد الله سبحانه وتعالى الصابرين أن يوفيههم

(١) سنن ابن ماجه: ٢/ ١٣٧٨.

(٢) سنن ابن ماجه ٢/ ١٣٧٧.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ٧٢٦.

(٤) صحيح مسلم ٢/ ٧٢٦.

أجرهم بغير حساب ، كما في قوله سبحانه: {إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} ^(١).

فمن توجيهات النبي (صلى الله عليه وسلم) في ذلك ما ورد عن أبي سعيد الخدري أن ناسا من الأنصار سألوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى إذا نفذ ما عنده قال: «ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يصبر يصبره الله وما أعطي أحد من عطاء خير وأوسع من الصبر». ^(٢)

ومن توجيهه بالقناعة ما ورد عن ابن عمر قال: أخذ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ببعض جسدي فقال: «يا عبد الله كن في الدنيا كأنك غريب أو كأنك عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور». ^(٣)

وعن أبي حميد الساعدي أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «اجملوا في طلب الدنيا فإن كلا ميسر لما كتب له منها» هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ^(٤)

وعن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «ألا أخبرك عن ملوك الجنة قلت بلى قال: رجل ضعيف مستضعف ذو طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره». ^(٥)

وعن عبد الله بن أبي أمامة الحارثي عن أبيه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «البذاذة من الإيمان قال البذاذة القشافة يعني التقشف». ^(٦)

(١) سور الزمر، الآية ١٠.

(٢) صحيح مسلم ٧٢٩/٢.

(٣) سنن ابن ماجه: ٢ / ١٣٧٨.

(٤) مستدرک الحاكم ، ٤/٢.

(٥) سنن ابن ماجه: ٢ / ١٣٧٨.

وعن أبي أمامه عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «إن أغبط الناس عندي مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة غامض في الناس لا يؤبه له كان رزقه كفافا وصبر عليه عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه»^(٢).

وعن سهل بن سعد الساعدي قال: مر على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رجل فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): ((ما تقولون في هذا الرجل قالوا رأيك في هذا نقول هذا من أشرف الناس هذا حري إن خطب أن يخطب وإن شفع أن يشفع وإن قال: أن يسمع لقوله فسكت النبي (صلى الله عليه وسلم) ومر رجل آخر فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): ما تقولون في هذا قالوا نقول والله يا رسول الله هذا من فقراء المسلمين هذا حري إن خطب لم ينكح وإن شفع لا يشفع وإن قال لا يسمع لقوله فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): لهذا خير من ملء الأرض مثل هذا»^(٣).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه»^(٤).

إخلاص النية لله سبحانه وتعالى

ومن جوانب العلاج الهامة إخلاص النية : فمنه حديث ابن مسعود مرفوعا لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا الحديث قال القرطبي يجمع بينه وبين حديث الباب بحمله على الاستكثار والاشتغال به عن أمر الدين وحمل حديث الباب على اتخاذها للكفاف أو لنفع المسلمين بها وتحصيل ثوابها وفي رواية لمسلم إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة ومقتضاه أن أجر ذلك يستمر ما دام الغرس أو الزرع مأكولا منه ولو مات زارعه أو غارسه ولو

(١) سنن ابن ماجه ١٣٧٩/٢.

(٢) سنن ابن ماجه: ٢/ ١٣٧٨.

(٣) سنن ابن ماجه ١٣٧٩/٢.

(٤) صحيح مسلم ٧٣٠/٢.

انتقل ملكه إلى غيره وظاهر الحديث أن الأجر يحصل لمتعاطي الزرع أو الغرس ولو كان ملكه لغيره.^(١)

(١) فتح الباري ، ٤/٥ .

رابعاً : الإيمان بالملائكة

الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان، وهو يتضمن معاني:

أحدها التصديق بوجودهم

والآخر إنزالهم منازلهم وإثبات أنهم عباد الله وخلقه كالإنس والجن مأمورون مكلفون لا يقدرُونَ إلا على ما يقدرهم الله تعالى عليه والموت جائز عليهم ولكن الله تعالى جعل لهم أمدا بعيدا فلا يتوفاهم حتى يبلغوه ولا يوصفون بشيء يؤدي وصفهم به إلى إشراكهم بالله تعالى جده ولا يدعون آلهة كما ادعتهم الأوثان.

والثالث الاعتراف بأن منهم رسل الله يرسلهم إلى من يشاء من البشر وقد يجوز أن يرسل بعضهم إلى بعض ويتبع ذلك الاعتراف بأن منهم حملة العرش ومنهم الصافون ومنهم خزنة الجنة ومنهم خزنة النار ومنهم كتبة الأعمال ومنهم الذين يسوقون السحاب وقد ورد القرآن بذلك كله أو بأكثره قال الله تعالى في الإيمان بهم خاصة: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ} ^(١). وعن ابن عمر عن عمر رضي الله عنهما عن النبي (صلى الله عليه وسلم) حين سئل عن الإيمان فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله» ^(٢).

ولكن كيف يكون الإيمان بالملائكة منجياً من فتنة المال ؟ إن الإنسان إذا كان مكلفاً بعمل ما أو منهي عن عمل ما من قبل الحاكم (مثلاً) وكان ذلك الحاكم قد وكل به من يرقب تصرفاته ويسجل عليه أعماله ، فلا شك أن إدراك الإنسان لهذا الأمر يجعله يحذر من هذا الأمر خوفاً من التسجيل ، من هنا يأتي أثر الإيمان بالملائكة على تصرف الإنسان .

(١) سورة البقر، الآية ٢٨٥ .

(٢) شعب الإيمان: ١/ ١٦٣، وانظر: معارج القبول ، وشرح العقيدة الصحاوية .

من الملائكة من هو موكل بحفظ عمل العبد من خير وشر وهم الكرام الكاتبون وهؤلاء يشملهم قوله عز وجل: {وِيرْسِلْ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً} ^(١).

وقال تعالى فيهم: {أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ} ^(٢).

وقال تعالى: {إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ . مَا يُلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} ^(٣). فالذي عن اليمين يكتب الحسنات الذي عن الشمال يكتب السيئات.

وقال تعالى: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَامًا كَاتِبِينَ . يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ} ^(٤).

وعن علقمة عن بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله عز وجل له بها رضوانه إلى يوم يلقاه وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغها بلغت يكتب الله تعالى عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه» فكان علقمة يقول: كم من كلام قد منعه حديث بلال بن الحارث ورواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي حسن صحيح .

وروى البغوي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا وإن عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر» وفي الصحيح عن

(١) سورة الأنعام، الآية ٦١.

(٢) سورة الزخرف، الآية ٨٠ .

(٣) سورة ق، الآيتان ١٧ ، ١٨ .

(٤) سورة الانفطار، الآيات ١٠ - ١٢ .

أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «إن الله تعالى تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به».

وفي رواية ما لم تعمل أو تكلم به وفيه عنه رضي الله عنه قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «قال الله عز وجل إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فإن عملها فاكتبوها سيئة وإذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة عشرة».

وفي رواية «قال الله عز وجل إذا هم عبدي بحسنة فلم يعملها كتبت لها حسنة فإن عملها كتبت لها عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف وإذا هم بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه فإن عملها كتبت لها سيئة واحدة وفي أخرى قال الله عز وجل إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعمل فإذا عملها فأنا أكتبها بعشر أمثالها فأنا أكتبها له بعشر أمثالها وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا اغفرها له ما لم يعملها فإذا عملها فانا اكتبها له بمثلها» وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو تعالى أبصر به فقال ارقبوه فإن عملها فاكتبوها له بمثلها وإن تركها فاكتبوها له حسنة إنما تركها من جراي» .

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وكل سيئة يعملها تكتب بمثلها حتى يلقي الله عز وجل».

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيما يرويه عن ربه عز وجل قال: «إن الله تبارك وتعالى كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وإن هم بما فعلها كتبها الله عز وجل عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وإن هم بما فعلها كتبها الله سيئة واحدة» زاد في رواية أو محابها الله ولا يهلك على الله إلا هالك

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى: وتلا هذه الآية {عن اليمين وعن الشمال قعيد} يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك فاعمل ما شئت اقلل أو أكثر حتى إذا مت طويت صحيفةك وجعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة فعند ذلك يقول الله تعالى: {وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا} ^(١). ثم يقول عدل والله فيك من جعلك حسيب نفسك.

وروى البخاري رحمه الله تعالى في باب باب قول الله عز وجل: {تخرج الملائكة والروح إليه} قال: حدثنا إسماعيل حدثني مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو اعلم بهم فيقول كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون واتيئناهم وهم يصلون» ورواه مسلم أيضا وفيهما عن أبي موسى رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأربع كلمات فقال: «أن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يحفظ القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل» الحديث تقدم في العلو والأحاديث في ذكر الحفظة كثيرة ^(٢).

(١) سورة الإسراء، الآية ١٤.

(٢) معارج القبول: ٢ / ٦٦٣، ٦٦٤.

خامساً : الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر هو الإقرار بأن هذه الدنيا إلى انتهاء وأن وراءها يوماً آخر يوم الجزاء والحساب ، فيؤمن الإنسان بكل ما جاء عن هذا اليوم في كتاب الله أو سنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) مما يكون بعد الموت.

فيؤمنون بفتنة القبر وبعذاب القبر وبنعيمه فأما الفتنة فإن الناس يفتنون في قبورهم فيقال: للرجل من ربك وما دينك ومن نبيك فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة فيقول: المؤمن الله ربى والإسلام ديني ومحمد نبي وأما المرتاب فيقول هاهاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته فيضرب بمرزبة من حديد فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعها الإنسان لصعق .

ثم بعد هذه الفتنة إما نعيم وإما عذاب إلى أن تقوم القيامة الكبرى فتعاد الأرواح إلى الأجساد وتقوم القيامة التي أخبر الله بها في كتابه وعلى لسان رسوله وأجمع عليها المسلمون فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاة عراة غرلا وتدنو منهم الشمس ويلجمهم العرق وتنصب الموازين فتوزن فيها أعمال العباد {وَالْوِزَنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يِظْلِمُونَ} (١).

وتنشر الدواوين وهى صحائف الأعمال فأخذ كتابه بيمينه وأخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره كما قال سبحانه وتعالى: {وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا. اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} (٢).

(١) سورة الأعراف، الآيتان ٨ ، ٩ .

(٢) سورة الإسراء، الآيتان ١٣ ، ١٤ .

ويحاسب الله الخلائق ويخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب والسنة

وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته فإنه لا حسنات لهم ولكن تعد أعمالهم وتحصى فيوقفون عليها ويقررون بها ويجزون بها .

وفي عرصة القيامة الحوض المورود لمحمد مأؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل آنيته عدد نجوم السماء طوله شهر وعرضه شهر من يشرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا .

والصراط منصوب على متن جهنم وهو الجسر الذي بين الجنة والنار يمر الناس عليه على قدر أعمالهم فمنهم من يمر كلمح البصر ومنهم من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس الجواد ، ومنهم من يمر كركاب الإبل ومنهم من يعدو عدوا ومنهم من يمشى مشيا ومنهم من يزحف زحفا ومنهم من يخطف فيلقى في جهنم فإن الجسر عليه كالإب تحطف الناس بأعمالهم فمن مر على الصراط دخل الجنة . فإذا عبروا عليه وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة .

وأول من يستفتح باب الجنة محمد وأول من يدخل الجنة من الأمم أمته وله في القيامة ثلاث شفاعات أما الشفاعة الأولى فيشفع في أهل الموقف حتى يقضى بينهم بعد أن تتراجع الأنبياء آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم الشفاعة حتى تنتهي إليه .

وأما الشفاعة الثانية فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة وهاتان الشفاعتان خاصتان له . وأما الشفاعة الثالثة فيشفع فيمن استحق النار وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها ويخرج الله تعالى من النار أقواما بغير شفاعة بل بفضلهم ورحمته ويبقى في الجنة فضل عمن دخلها من أهل الدنيا فينشئ الله لها أقواما فيدخلهم الجنة وأصناف ما تضمنته الدار الآخرة من الحساب والثواب والعقاب والجنة والنار وتفاصيل ذلك مذكورة في الكتب

المتزلة من السماء والآثار من العلم الماثورة عن الأنبياء وفي العلم الموروث عن محمد (صلى الله عليه وسلم) من ذلك ما يشفى ويكفى فمن ابتغاه وجده.^(١)

وأما أثر هذا الإيمان في النجاة من فتنة المال فيكون في عدة مسائل:

المسألة الأولى : الإيمان بزوال الدنيا وما فيها

فإيمان العبد أن هذه الدنيا وهذا المال زائل لا محالة يؤدي إلى عدم التعلق الشديد بالمال وجمعه .

المسألة الثانية: الإيمان بالحساب على هذا المال يوم القيامة

كما أخبر المصطفى (صلى الله عليه وسلم): «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيم فعل وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه.»^(٢)

وإذا آمن الإنسان بذلك الحساب فإن وراء الحساب جزاء ، إما نعيم أو جحيم ، أما النعيم ففيه صنوف من التلذذ بأنواع من المال خير من تلذذ صاحبه في الدنيا ، فإذا كان على سبيل المثال صاحب المال يرغب في الدنيا بالقصور الفاخرة ، فإن في الجنة قصوراً لا تدانيها قصور الدنيا .

فيتصور صاحب الدنيا أن أدنى أهل الجنة يعطى ما لا يمكن تصوره من الملك والنعيم ، فعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة رجل صرف الله وجهه عن النار قبل الجنة ومثل له شجرة ذات ظل فقال: أي رب قدمني إلى هذه الشجرة أكون في ظلها وساق الحديث بنحو حديث بن مسعود ولم يذكر فيقول يا بن آدم ما يصريني منك إلى آخر الحديث وزاد فيه ويذكره الله سل كذا وكذا فإذا انقطعت به الأمان قال: الله هو لك وعشرة أمثاله قال: ثم يدخل بيته فتدخل عليه زوجته

(١) انظر : ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ١٤٥/٣ - ١٤٨ .

(٢) أخرجه الترمذي ٦١٢/٤ . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

من الحور العين فتقولان الحمد لله الذي أحياك لنا وأحيانا لك قال: فيقول ما أعطي أحد مثل ما أعطيت»^(١).

ألا يتصور ذلك المفتون في الدنيا أنه يمكنه السلامة من هذه الفتنة والحصول أعظم مما يريده في دنياه ! إنه الإقبال على الله سبحانه وتعالى وطلب مرضاته والفوز بجنته .

ومن جانب آخر فإن من وسائل النجاة من فتنة المال أن يتصور الإنسان ذلك العذاب الأليم الذي يترتب على فتنة المال ، فعلى سبيل المثال هل يعلم ذلك الملوث الذي يجري خلف الربا لجمع المال ، قال تعالى: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} ^(٢).

وهل يتصور آكل الربا بشاعة العذب يوم القيامة ، عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال النبي (صلى الله عليه وسلم): «رأيت الليلة رجلين أتياني فأخرجاني إلى أرض مقدسة فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى وسط النهر رجل بين يديه حجارة فأقبل الرجل الذي في النهر فإذا أراد الرجل أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه فردته حيث كان فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر فيرجع كما كان فقلت ما هذا فقال الذي رأيته في النهر آكل الربا» ^(٣).

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال يا بن آدم هل رأيت خيرا قط هل مر بك نعيم قط فيقول لا والله يا رب ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة

(١) أخرجه مسلم ١/١٧٦.

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٧٥ .

(٣) أخرجه البخاري ، ٢/٧٣٤ ، رقم ١٩٧٩.

فيصبع صبغة في الجنة فيقال له يا بن آدم هل رأيت بؤسا قط هل مر بك شدة قط فيقول لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط»^(١)

سادساً : الإيمان بالقدر

الإيمان بالقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان ، ويتضمن أربع مراتب :

المرتبة الأولى: الإيمان بعلم الله عز وجل المحيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات فعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون وأنه علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم وعلم أرزاقهم وآجالهم وأحوالهم وأعمالهم في جميع حركاتهم وسكناتهم وشقاوتهم وسعادتهم ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار من قبل أن يخلقهم ومن قبل أن يخلق الجنة والنار علم دق ذلك وجليله وكثيره وقليله وظاهره وباطنه وسره وعلايته ومبدأه ومنتهاه كل ذلك بعلمه الذي هو صفته ومقتضى اسمه العليم الخبير عالم الغيب والشهادة علام الغيوب كما قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾^(٢) .

وفي الحديث عن عمران بن حصين قال: قال رجل: «يا رسول الله أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال: نعم قال فلم يعمل العاملون قال كل يعمل لما خلق له أو لما يسر له» .

وعن علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ذات يوم جالساً وفي يده عود ينكت به فرفع رأسه فقال: «ما منكم من نفس منفوسة إلا وقد علم مترها من الجنة والنار قالوا يا رسول الله فلم نعمل أفلا نتكل قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له ثم قرأ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ إلى قوله: ﴿فَسَنِّيئِهِ لِلْعَصَى﴾» .

المرتبة الثانية: من مراتب الإيمان بالقدر الإيمان بكتاب الله تعالى الذي لم يفرط فيه من شيء قال الله عز وجل: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٣) .

(١) سورة الحشر، الآية ٢٢ .

(٢) سورة الطلاق، الآية ١٢ .

(٣) سورة الأنعام، الآية ٣٨ .

وقال تعالى: {وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ} ^(١).

وقال تعالى: {وَكُلَّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزَّيْرِ. وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٍ} ^(٢).

وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا عبدان بن أبي حمزة عن الأعمش عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي رضي الله عنه قال: كنا جلوسا مع النبي (صلى الله عليه وسلم) ومعه عود ينكت في الأرض وقال: «ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو من الجنة فقال رجل من القوم ألا نتكل يا رسول الله قال: لا اعملوا فكل ميسر ثم قرأ {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى}» .

وفي رواية لمسلم عن علي رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقعده وقعدنا حوله ومعه مخرصة فنكس فجعل ينكت بمخرصته ثم قال: «ما منكم من أحد ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله تعالى مكانها من الجنة والنار وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة قال: فقال رجل يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل فقال من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة فقال: اعملوا فكل ميسر وأما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيصِرْهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيصِرْهُ لِلْعُسْرَى}» .

والإيمان بكتابة المقادير يدخل فيه خمسة تقادير

الأول التقدير الأزلي قبل خلق السموات والأرض

التقدير الثاني من تقادير الكتابة كتابة الميثاق .

(١) سورة يس ، الآية ١٢ .

(٢) سورة القمر ، الايتان ٥٢ ، ٥٣ .

التقدير الثالث: العمري عند تخليق النطفة في الرحم فيكتب إذ ذاك ذكوريته وأنوثتها والأجل والعمل والشقاوة والسعادة والرزق وجميع ما هو لاق فلا يزداد فيه ولا ينقص منه. فصل والرابع التقدير الحولي في ليلة القدر يقدر فيها كل ما يكون في السنة إلى مثله. الخامس التقدير اليومي وهو سوق المقادير إلى المواقيت التي قدرت لها فيما سبق.

والمرتبة الثالثة من مراتب الإيمان بالقدر: الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة وهما يجتمعان فيما كان وما سيكون ويفترقان في ما لم يكن ولا هو كائن فما شاء الله تعالى كونه فهو كائن بقدرته لا محالة {إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون} ^(١) وما لم يشأ الله تعالى لم يكن لعدم مشيئة الله تعالى إياه ليس لعدم قدرته عليه {ولو شاء الله لجمعهم على الهدى} . {ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة} . {ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا} .

المرتبة الرابعة مرتبة الخلق وهو الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء فهو خالق كل عامل وعمله وكل متحرك وحركته وكل ساكن وسكونه وما من ذرة في السموات ولا في الأرض إلا والله سبحانه وتعالى خالقها وخالق حركتها وسكونها سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه ^(٢) .

أثر الإيمان بالقدر في النجاة من فتنة المال

يكون ذلك بعدة مسائل :-

١ - أن يدرك صاحب الغنى أن الله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير ، فلا يغتر بماله ، فكما أن الله سبحانه أغناه ، فهو سبحانه قادر على إفقاره ، والذي أغناه سبحانه وتعالى قدر على أن يغني غيره من الناس قال تعالى: {اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا

(١) سورة يس، الآية ٨٢ .

(٢) انظر: معارج القبول ٣/٩٢٠ - ٩٤٠

بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ^(١). وقال تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا^(٢).

٢- أن كثرة المال وسعة الرزق ليست دليلاً على الرضا بل ابتلاء من الله لصاحب المال ، وفي قارون ومصيره عبرة وعظة حيث خسف الله به وبداره الأرض {فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ^(٣)} أي ما أغنى عنه ماله ولا جمعه ولا خدمه وحشمه ولا دفعوا عنه نقمة الله وعذابه ونكاله ولا كان هو في نفسه منتصراً لنفسه فلا ناصر له من نفسه ولا من غيره وقوله تعالى: { وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ } أي الذين لما رأوه في زينته {قالوا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم . فلما خسف به أصبحوا يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر^(٤) أي ليس المال بدال على رضا الله عن صاحبه فإن الله يعطي ويمنع ويضيق ويوسع ويخفض ويرفع وله الحكمة التامة والحجة البالغة وهذا كما في الحديث المرفوع عن بن مسعود أن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم أرزاقكم وإن الله يعطي المال من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الإيمان إلا من يحب^(٤).

٣- أن الحال الاقتصادية للإنسان لا تدوم ، فربما يكون الإنسان غنياً وقد كتب عليه في القدر أن يكون فقيراً ، وكذلك العكس ربما كان الإنسان فقيراً وكتب عليه في القدر أن يكون غنياً ، وما أحسن ما قال الشاعر :

ترايني مقبلاً فتصد عني وتزعم أنني أبغي رضاك
سيغنييني الذي أغناك عني فلا فقري يدوم ولا غناك

(١) سورة الرعد، الآية ٢٦ .

(٢) سورة الإسراء، الآية ٣٠ .

(٣) سورة القصص ، الآية ٨١ .

(٤) تفسير ابن كثير ٤٠٢/٣ .

٤- أن يعلم الإنسان أن الله سبحانه وتعالى هو الذي قسم الأرزاق ، عن عبد الله قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الإيمان إلا من يحب» هذا حديث صحيح الإسناد تفرد به أحمد بن حنبل المصيصي وهو شرط من شرطنا في هذا الكتاب أنا نخرج أفراد الثقات إذا لم نجد لها علة وقد وجدنا لعيسى بن يونس فيه متابعين أحدهما من شرط هذا الكتاب وهو سفيان بن عتبة أخو قبيصة ^(١).

٥- أن يعلم العبد أنه أحوج بنصيبه من الآخرة إلى نصيبه من الدنيا ، عن أبي قلابة وعن غير واحد أن فلانا مر به أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: أوصوني فجعلوا يوصونه وكان معاذ بن جبل في آخر القوم فمر بالرجل فقال: أوصيني يرحمك الله قال: إن القوم قد أوصوك ولم يألوا وأني سأجمع لك أمرك بكلمات فاعلم أنه لا غنى بك عن نصيبك من الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر فابدأ بنصيبك من الآخرة فإنه يسمو بك على نصيبك من الدنيا فتنتظمه انتظاما ثم يزول معك أينما كنت.

الفصل الثاني

فتنة النساء

المبحث الأول

التعريف بفتنة النساء

لقد خلق الله سبحانه وتعالى البشرية من ذكر وأنثى وحدد العلاقة بين هذين الجنسين في إطار الشرع ، فالرجل بطبعه ميال إلى الاستمتاع بالمرأة ، وهي كذلك ، فعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»^(١).

إلا أن تجاوز كل من الجنسين الحدود الشرعية في علاقته الآخر يشكل خطراً عليهما في الدنيا والآخرة ، وهذه هي فتنة النساء ، والفتنة قد تكون منهن أو بهن .

وتتمثل فتنة النساء بأمور كثيرة ، منها على سبيل المثال :

- ١ - العشق المحرم
- ٢ - النظر إلى النساء الأجنبية
- ٣ - مايقع فيه الإنسان من محرم مع المرأة الأجنبية من زنا أو مباشرة أو كلام أو نحو ذلك .
- ٤ - تجاوز الحدود الشرعية في محبة الزوجة.
- ٥ - التقصير في حق الزوجة والبنات والقريبات .
- ٦ - التمتع بمشاهدة صور الأجنبية في وسائل لإعلام ونحوها .

(١) صحيح مسلم ٢/١٠٩٠.

المبحث الثاني

خطر فتنة النساء

لقد أخبر المصطفى (صلى الله عليه وسلم) أمته بهذه الفتنة وحذرهم منها بأحاديث عدة، فعن أبي سعيد قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «ما من صباح إلا وملكان يناديان ويل للرجال من النساء وويل للنساء من الرجال»^(١).

وإذا كانت الفتن التي يتعرض لها الرجل كثيرة فإنها تتفاوت فيما بينها من حيث شدة الخطورة ، وإن فتنة النساء هي اشد فتنة كما أخبر بذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، عن أسامة بن زيد أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «ما تركت بعدي في الناس فتنة أضر على الرجال من النساء»^(٢).

وفي رواية «ما أدع بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»^(٣).

و عن الأشعث بن سليم قال: سمعت رجاء بن حيوة الكندي قال: قال: معاذ أنكم ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم وستبتلون بفتنة السراء وإن أخوف ما أخاف عليكم فتنة النساء»^(٤).

ولنعلم أيضاً أن من خطر هذه الفتنة أنه من أكثر الأسباب التي تدخل الإنسان النار، فلما سئل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن أكثر ما يلج به الناس النار ، قال: «الأجوفان الفم والفرج» بن يزيد هذا هو داود بن يزيد الأودي^(٥).

(١) سنن ابن ماجه ١٣٢٥/٢.

(٢) السنن الواردة في الفتن ٢٣٨/١.

(٣) سنن ابن ماجه ١٣٢٥/٢.

(٤) شعب الإيمان ٣٦١/٤.

(٥) شعب الإيمان ٣٦١/٤.

والشاهد هنا هو (الفرج) وهو ما يقع فيه الإنسان من الزنا ونحوه وذلك بسبب فتنة النساء ، نسأل الله السلامة والعافية من كل شر .

ومن هذا الباب أيضاً ما ورد عن أنس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «من وقى شر لقلقه وقبقه وذبحه فقد وقى الشر كله» قال: أما لقلقه فاللسان وقبقه فالفم وذبحه فالفرج قال: الشيخ أحمد هكذا وجدته موصولاً بالحديث وفي إسناده ضعف.^(١)

ومما يزيد في خطورة هذه الفتنة هو ما تبذله النساء من الجهد في التزين ، وعن هذا الجانب ورد عن رجاء بن حيوة قال: قال: معاذ إنكم قد ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم وإني أخاف عليكم فتنة الضراء وأن من أكثر ما أخاف عليكم من قبل النساء إذا تسورن الذهب ولبسن غصب اليمن وريط الشام فاتبعن الغني وكلفن الفقير ما لا يجد ورواه أيضاً أبو عثمان النهدي عن معاذ.^(٢)

(١) شعب الإيمان ٤/ ٣٦١.

(٢) شعب الإيمان / ١٠٦٣٠.

المبحث الثالث

صور معاصرة من فتنه النساء .

لقد اشتدت فتنه النساء عن ذي قبل وذلك بسبب ما استجد في هذا العصر من أشكال هذه الفتنه وصورها المتعددة ، ولعل من أبرز ذلك ما يلي : -

التبرج

لقد نهي الله سبحانه وتعالى نساء المؤمنين أن يتبرجن كما في قوله تعالى: {وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى} ^(١) فدل على ذلك على أن التبرج موجود في القديم في نساء الجاهلية ، إلا أنه يختلف في صورته ودرجته عن التبرج في العصر الحاضر ، فتبرج الجاهلية الأولى قال فيه مجاهد: كانت المرأة تخرج تمشي بين يدي الرجال فذلك تبرج الجاهلية وقال قتادة {ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى} يقول إذا خرجتن من بيوتكن وكانت لهن مشية وتكسر وتغنج فنهي الله تعالى عن ذلك وقال مقاتل بن حيان: {ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى} والتبرج أهما تلقى الخمار على رأسها ولا تشده فيواري قلائدها وقرطها وعنقها ويبدو ذلك كله منها وذلك التبرج ^(٢) .

ولكن تبرج النساء في العصر الحاضر أشد من ذلك ، فليس الذي يظهر منها فقط هو ما ذكر ، بل الأمر أشد من ذلك ، ظهرت الصدور والظهور والأفخاذ، بل قل إن شئت ففي بعض المواضع لا يوجد من اللباس سوى قطع صغيرة تستر العورة المغلظة وبعض الثديين ، والأشد من هذا وذاك بل يوجد في هذا العصر نواد للعرافة فهناك الرجال والنساء متجردين من اللباس كما ولدتهم أمهاتهم ، فهل بعد هذا تبرج أكثر ، نعوذ بالله من سوء الحال .

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٣ .

(٢) ابن كثير ٤٨٤/٣ .

الاختلاط

اختلاط النساء بالرجال من الفتنة التي عمت بها البلوى في هذا العصر ، فلم يعد في كثير من المجتمعات التفريق بين الرجال والنساء في قاعات الدراسة أو أماكن العمل أو الأسواق أو أماكن الترفيه أو غير من أماكن التجمعات ، وعُد ذلك من قبيل المدنية والحضارة ، وعُدت المجتمعات التي تسعى إلى شيء من الاختلاط بمجتمعات متخلفة ظالمة للنساء، فقامت فيها الدعوات إلى الحرية وتحرير المرأة ، من أجل تحقيق قدر أكبر من الحرية

المبالغة في الزينة

إن زينة المرأة من أشد ما يجذب الرجل إليها ، والزينة إما طبيعية وليس هي مدرا الحديث ، أو مكتسبة وهي المقصود من الكلام ، وتتغير في وسائلها وأدواتها ومجالاتها من عصر إلى آخر ، ففي العصر الحاضر بلغ الاهتمام بزينة المرأة مبلغاً عظيماً ، فظهرت أنواع العطور والمساحيق والملابس والشركات الخاصة بزينة المرأة بشكل ملفت للنظر ، فأصبحت المرأة في هذه العصر على قدرة في تغيير لون شعرها وجلدها ، بل وتجاوز الأمر إلى أن المرأة قد تتصرف في بعض أجزاء جسدها تكبيراً وصغيراً وتعديلاً ، فظهر الكثير من المتشفيات والمراكز الصحية الخاصة بجمال المرأة والتصرف في بعض أعضائها المتعلقة بالجمال .

هذا في جانب الأعضاء الجسدية ، وفي جانب اللباس قل ما شئت من ظهور العديد من أنواع الألبسة والألوان والأشكال التي تلفت النظر إلى المرأة وتزيد من جمالها ، فظهر ما يسمى بمصممي الأزياء والعروض الخاصة بذلك .

انتشار الصور

لم تكن صورة المرأة منتشرة في قديم الزمان ، أما في هذا الزمان فأصبحت صورتها سلاحاً في أيدي الأعداء ، فصورتها هي المتصدرة لكثير من المجلات ، والصفحات الأولى من الجرائد ، وهي شاعت في شاشات التلفزيونات ، ولشدة تأثير الصورة فإن معظم الدعايات التجارية لا تخلو من صورة المرأة .

ومن فتنه الصورة أن وسائل التقنية المعاصرة أصبحت تتصرف فيها بحيث تبدو الصورة أحياناً أجمل من الحقيقة. إضافة إلى أن الكثير منها يلتقط للمرأة في أوضاع مثيرة محكمة. وقد أصبح التقنية المعاصرة توفر كمّاً هائلاً من صور النساء الجميلات بألبومات إلكترونية خاصة بمصطلحات خاصة مثل : (أجمل جميلات العالم) ، (ملكات الجمال) ، (جميلات العرب) ، (جميلات السينما) وغير ذلك من العبارات المغرية .

ومن خطر هذه الفتنة ما سهلته التقنيات المعاصرة من سهولة التقاط الصور أو تبادلها، ففي سهولة التقاطها على سبيل المثال لا حاجة الآن إلى حمل كاميرا خاصة، بل أصبحت الهواتف النقالة التي يحملها الكثير من الرجال والنساء تغني في التقاط الصور الثابتة أو المتحركة . وأما من حيث تبادلها ، فقد كان في السابق تبادل الصور الورقية مباشرة ، أما اليوم أصبح التبادل إلكترونياً عبر الأشرطة الممغنطة أو الإيميل والأسهل من هذا كله صار عبر البلوتوث .

المحادثات الهاتفية

المحادثة الهاتفية هي وسيلة معاصرة للتواصل بين الرجل والمرأة ، ففي حين كانت المحادثة بين الرجل والمرأة في السابق تتطلب شيئاً من التقارب لسماع الحديث المباشر مما تكون معه الفرصة ليست مهيأة في كثير من الأحيان ، وبالأخص في المجتمعات التي تكون فيها أمثال هذه اللقاءات ممنوعة ، جاءت التقنيات المعاصرة تسهل هذا الأمر ، وأمكن الحديث بواسطة الهاتف العادي أولاً، مع وجود شيء من الصعوبة في حرية المكالمات وخصوصيتها ، لكون الهاتف ليس خاصاً ، بل مشاع بين أفراد الأسرة ، مع عدم توفره في كل مكان . ثم تطور الأمر بعد ذلك وظهرت الهواتف النقالة فأعطى قدراً أكبر من الحرية والخصوصية في المكالمات ، هذا مع الرجل أو المرأة في المكان الذي يريد ، وبهذا زادت الخطورة واشتدت فتنة النساء المتعلقة بالمكالمات الهاتفية.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل تطورت الأمور وزادت الخطورة في تقدم تقنية المحادثات ، فأصبحت عن طريق الحاسبات الآلية عبر ما يسمى بـ (البالتوك) و (المانسجر)

وغرف الدردشة (التشات) ، ولم تقتصر المحادثات بين شخصين فحسب ، بل تكون أحياناً بين مجموعات من الأفراد رجالاً ونساءً . كما لا ننسى أيضاً الخدمات الجديدة التي تطورت عبر الهواتف النقالة ما يسمى بـ (واحد لواحد) . وهي للأسف أكثر الخدمات ترويحاً للرديلة... والتي بسببها تم طرح الموضوع للتحذير من خطورتها.

فما هي هذه الخدمة؟

هي باختصار من قائمة خدمات "أبواب" التي تقدمها شركة الاتصالات السعودية ... وهذه الخدمة "واحد لواحد" متعارف عليها في وسائل الإعلام بـ "دردشة" ... وتشابه بنسبة كبيرة "الدردشة" التي تحدث في برامج "MS Chat, PallTalk Chat" ... بل تعتبر أسهل منها بكثير.. فلا يلزم المستخدم "جهاز حاسب آلي و اتصال بالانترنت" ويسهل الانتقال بين الأماكن مع تواصل الدردشة.

ما هي طريقة عمل هذه الخدمة؟

خطورة هذه الخدمة فضلاً عن تكاليفها المادية التي تتمثل في مبلغ "١.٥" ريال عن كل رسالة... أن المراسلة تتدرج .. من تبادل الأفكار.. إلى تبادل المعلومات الصريحة .. إلى الأرقام ... وقد تصل والعياذ بالله إلى "اللقاء" ... نسأل الله السلامة لنا ولكم ، ولجميع إخواننا وأهلينا أجمعين.

وحتى نعرف خطورة هذه الخدمة .. لا بد أن نعرف مدى انتشارها بين أفراد المجتمع. فإذا عرفنا أن إجمالي عدد الرسائل التي تقدمها "باقعة أبواب" بلغ في الإحصائية عدد "٢.٤٦٩.١٥٢" رسالة يومياً.

حصلت خدمة الدردشة "واحد لواحد" من إجمالي العدد السابق ما يصل إلى:

"١.٤١٢.٣٨٤" رسالة يومياً .

وإليك هذا المثال من ضحايا الماسنجر ، تمثله رسالة فتاة فتقول :

تقول الفتاة :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أنا فتاة أبلغ من العمر ١٧ عاماً من بلد عربي ، لازلت في الدراسة الثانوية ..
للأسف تعلمت استخدام (الإنترنت) لكي أسأت استخدامها ، وقضيت أيامي في محادثة
الشباب ، وذلك من خلال الكتابة فقط ، ومشاهدة المواقع الإباحية ، رغم أني كنت من
قبل ذلك متديّنة ، وأكره الفتيات اللواتي يحادثن الشباب . وللأسف فأنا افعل هذا بعيداً
عن عين أهلي ، ولا أحد يدري .

ولقد تعرفت على شاب عمره ٢١ من جنسية مختلفة عني ... لكنه مقيم في نفس
الدولة ، تعرّفت عليه من خلال (الشات) .. وظللنا على (الماسنجر) أحببته وأحبني
حب صادق (ولوجه الله) لا تشوبه شائبة .

كما أنه أصبح يريني جسده من خلال الكاميرا ... فأدمنت ممارسة العادة السرية .

ظللنا على هذا الحال مدة شهر ، ولقد تعلمت الكثير منه وهو كذلك ، وعندما
وثقت فيه جعلته يراني من خلال (الكاميرا) في الكمبيوتر ، وأريته معظم جسدي ،
وأريته شعري ، وظللت أحادثه بالصوت ، وزاد حُبِّي له ، وأصبح يأخذ كل تفكيري
حتى أن مستواي الدراسي انخفض بشكل كبير جداً . أصبحت أهمل الدراسة ، وأفكر فيه ؛
لأنني كلما أحاول أن ادرس لا أستطيع التركيز أبداً وبعد فترة كلمته على (الموبايل) ومن
هاتف المنزل أخبرته عن مكان إقامتي كما هو فعل ذلك مسبقاً ، ولقد تأكدت من صحة
المعلومات التي أعطاني إياها .. طلب مني الموافقة على الزواج منه فوافقت طبعاً لحبي الكبير
له - رغم أني محجوزة لابن خالي - لكي أخشى كثيراً من معارضة أهلي وخصوصاً أنه
قبل فترة قصيرة هددني بقوله: إن تركتني فسوف أفضحك ! وأنشر صورك ! وقال :
سوف أقوم بالاتصال على الهواتف التي قمت بالاتصال منها لأفضح أمرك لأهلك .

وعندما ناقشت معه الأمر قاله: إنه (يمزح) لكن أحسست وقتها بأنه فعلاً سيفعل ذلك ، وأنا أفكر جدياً بتركه ، والعودة إلى الله .

وكم أخشى من أهلي ، فأنا أتوقع منهم أن يقتلوني خشية الفضيحة والسمعة ، لا أقصد القتل بذاته بل الضرب والذل ؛ لأن أبي وأمي متدينان ومسلمان ، وإذا عرفا بأني أحب شاب وأكلمه فسوف يقتلاني !

أنا لا أعرف ماذا أفعل !

أنا خائفة جداً .

أريد الهداية .

أريد العيش مطمئنة وسعيدة .

مللت الخوف والتفكير .

أرجوكم ساعدوني ، وبسبب هذه المشكلة تركت الصلاة ، وتركت العبادة ؛ لأنني يئست من الحياة مللت منها ، أود الموت اليوم قبل الغد ، لو ظللت عائشة على هذه الحياة فسوف يتحطم مستقبلي ومستقبل أخواني ، وتشوه سمعتهم .

أريد تركه لكنني أخشى من فضحه لي ؛ لأنه سيُعاود الاتصال؟؟

كيف أمنعه من ذلك؟؟

أريد العودة إلى الله فهل سيغفر لي ربي؟؟

كيف التوبة وما شروطها؟؟

ومتى أتوب؟؟

أخشى أن أعود إلى ما فعلته سابقا .

ما الحل؟؟

كيف أتخلص من إدمان العادة السرية خصوصاً أنني أصبت ببرود جنسي ؟

كيف أعالج ذلك من غير علم أهلي ؟؟

ماذا افعل ؟؟

أرجوكم ساعدوني .

لا أعرف ما أفعل .

لا أستطيع أن أخبر أحد بهذا الأمر .

أرجوك أجبني ، وأرحني ، فلازلت أحمل هذه المشكلة كهـم كبير لا يقوى ظهري على حمله ، فأنا التمس الجواب منكم .

أرجوكم ساعدوني .

ما الحل ؟؟

أرجوكم بسرعة فلقد يئست ..

ساعدوني لا أجد أحداً ينصحي ! فساعدوني ، ولا ترموا رسالتي ، فأنا بأمس الحاجة .

أرجوكم .

انتهت رسالة الأخت التي تفيض بالعِظات والعِبر .

فهل من مُعتَبِر ؟؟؟

الرسائل (SMS)

الرسائل الهاتفية (SMS) هي أيضاً وسيلة معاصرة للتواصل بين الرجال والنساء ، يتبادلون فيها المشاعر والأحاسيس وكلمات الغرام والمواعيد وغير ذلك ، كما يتبادلون الصور والشعارات . ويجهل الكثير منا هذه الخدمة أو يختصر دورها في "رسائل بينيه" للتهاني، أو التذكير أو تبادل التبريكات.

هي مشاركة بين شركات الاتصال والقنوات الفضائية ... عن طريق رسالة من الهاتف الجوال إلى رقم مخصص للقناة ... ليتم نشر "العبارات التي يرسلها الشخص" في القناة مباشرة دون رقيب أو حسيب ... فطالما أن القناة تحصل إلى نسبة من قيمة الرسالة التي تصل إلى خمسة ريالات والنسبة المتبقية من نصيب شركة الاتصالات.

وقد تستغرب عزيزي رب الأسرة إذا علمت أن عدد القنوات الفضائية المستفيدة من هذه الخدمة في كلا الشركتين يربو على المائة قناة ... بلغ نسبة القنوات الغنائية المجانية ما يزيد عن "٩٤%" منها ..

فيديو كليب

فيديو كليب من الصور المعصرة في فتنه النساء ، تظهر فيه النساء الجميلات المختارات بعناية بأهمل زينتهن يؤدين حركات استعراضية راقصة على أنغام الموسيقى وبصحبة الغناء ، ففي هذه الصورة تجتمع فتنه المرأة مع فتنه الحركة وفتنة الصوت بشكل خطر جداً على الرجال والنساء . وقد أصبح لهذه الظاهرة قنوات خاصة .

هذه بعض النماذج اليسيرة من الصور المعاصرة لفتنة النساء ، والأممر أكبر من ذلك بكثير ، وما تزال التقنيات المعاصرة تظهر لنا كل يوم شيئاً جديداً في هذا المجال .

المبحث الرابع

أثر العقيدة في النجاة من فتنة النساء

أولاً : الإيمان بالله سبحانه

إن الإيمان بالله سبحانه وتعالى أعظم جوانب العقيدة التي يسلم بها الإنسان من الفتن بأنواعها ، فليتأمل الإنسان أن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلقه وأوجده وأنعم عليه بنعم كثيرة لا يستطيع عدّها ، ولا يطيق شكرها ، ولقد خلق كلاً من الذكر والأنثى ووضع لكل حدوده تجاه الآخر .

فالله سبحانه وتعالى هو الذي أمر المرأة بالستر والعفاف ونهاها عن التبرج والسفور . وهو الذي أمر كلاً من الرجل والمرأة بغض البصر ، قال تعالى وقال: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} ^(١) وقال: {وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ} ^(٢) .

كما محبة الله سبحانه وتعالى تورث في قلب الإنسان الإقبال على ما يحبه الله ويرضاه والبعد عم ما يسخطه ويأباه ، إضافة إلى الخوف من الله سبحانه وتعالى تجعل المرء يجتهد في البعد عن كل ما يكون سبباً في عذاب الله وعقابه في الدنيا والآخرة .

ثانياً : الإيمان بالرسول

الإيمان بالرسول (صلى الله عليه وسلم) من أهم جوانب الإيمان المتعلقة بالسلامة من تلك الفتنة ، ويتمثل ذلك في جوانب عدة .

(١) سورة النور، الآية ٣٠

(٢) سورة النور، الآية ٣١

تحذيره (صلى الله عليه وسلم) من خطر هذه البعد وأمره بالعبد عنها والسلامة منها . وكذلك التحذير من الأسباب المؤدية إليها .

معرفة حاله (صلى الله عليه وسلم) زهده وتقواه .

وفي جانب التحذير ورد عن أبي سعيد أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: ((إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت فتنة النساء)).^(١)

و عن أبي سعيد أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قام خطيباً فكان فيما قال: ((إن الدنيا خضرة حلوة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ألا فاتقوا الدنيا واتقوا النساء)).^(٢)

ومن جوانب النجاة من هذه الفتنة ما بينه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من أسبابها المؤدية إليها ، فعن أبي هريرة لقي امرأة متطيبة تريد المسجد فقال : يا أمة الجبار أين تريدن قالت: المسجد قال: وله تطيبت قالت: نعم قال: فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: «أما امرأة تطيبت ثم خرجت إلى المسجد لم تقبل لها صلاة حتى تغتسل».^(٣)

وعن عائشة قالت: بينما رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جالس في المسجد إذ دخلت امرأة من مزينة ترفل في زينة لها في المسجد فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): « يا أيها الناس انهوا نساءكم عن لبس الزينة والتبختر في المسجد فإن بني إسرائيل لم يلعنوا حتى لبس نساؤهم الزينة وتبخترن في المساجد ».^(٤)

(١) شعب الإيمان ٤/٣٦١ .

(٢) سنن ابن ماجه ٢/١٣٢٥ .

(٣) سنن ابن ماجه ٢/١٣٢٦ .

(٤) سنن ابن ماجه ٢/١٣٢٦ .

كما أن تنبيهه (صلى الله عليه وسلم) لاستعمال العقل في هذه المسألة فيه سلامة ونجاة منها ، فعن أبي أمامة ((أن فتى شابا أتى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: يا رسول الله أتأذن لي في الزنا قال فصاح القوم به وقالوا مه مه فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): أقروه وأدنه فدنا حتى كان قريبا من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): أتجبه لأمك فقال لا يا رسول الله جعلني الله فداك فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ولا الناس يحبونه لأمهاتهم قال: أفتجبه لابنتك قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم قال: فتجبه لأختك قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم ثم ذكر الحديث في العمرة والخالة كذلك قال فقال: يا رسول الله ادع الله لي...».

الفصل الثالث

فتنة المنصب

المبحث الأول

التعريف بفتنة المنصب

ومن جملة الفتن التي يتلى بها الإنسان في هذه الحياة (فتنة المنصب) وتعني الرغبة في السيادة والسلطة على الآخرين ، أو قل إن شئت تعني المكانة العالية بين الناس . وهذه الفتنة يصاب بها صاحب المنصب وغيره بسببه .

وإما إصابة صاحب المنصب فمن ذلك تغليبها على محبة الله ومرضاته أو عدم العدل بين المرؤوسين أو ونحو ذلك عدم القيام بحقها .

وأما الافتتان بسببه فيكون بتقديسه وتعظيمه ورفع فوق منزلته ، أو إطاعته فيما حرم الله ، أو ترك ما أوجب الله بسببه ، وكذلك تصديقه بالكذب ومدحه فيما ليس فيه ، ومما يؤكد الفتنة بسببه ما ورد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «من بدا جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى أبواب السلطان افتتن وما ازداد أحد من السلطان قربا»^(١).

كما تعني الفتنة في المنصب الابتلاء للإنسان بذلك لتبين حاله فيها من خير أو شر ، فأما أولياء الله سبحانه وتعالى من المؤمنين الذين آتاهم الله سبحانه وتعالى شيئاً من ذلك فقد قاموا خير قيام وجعلوه قربة إلى الله سبحانه وتعالى .

(١) شعب الإيمان ٤٧/٧ .

قال تعالى عن داود عليه السلام: {وَوَظَنَ دَاوُودُ أَنَّهَا فِتْنَةٌ} ^(١) فقد ظن داود عليه السلام أن يكون ما أتاه الله عز وجل من سعة الملك العظيم فتنة فقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يدعو في أن يثبت الله قلبه على دينه فاستغفر الله تعالى من هذا الظن فغفر الله تعالى له هذا الظن إذ لم يكن ما أتاه الله تعالى من ذلك فتنة .

وذكروا قول الله عز وجل عن سليمان عليه السلام: {ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب} قال أبو محمد: ولا حجة لهم في هذا إذ معنى قوله تعالى: {فتنا سليمان} أي أتيناه من الملك ما اخترنا به طاعته كما قال تعالى مصدقا لموسى عليه السلام في قوله تعالى: {إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء} إن من الفتنة من يهدي الله من يشاء ، وقال تعالى: {الم. أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون. ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين} فهذه الفتنة هي الاختبار حتى يظهر المهتدي من الضال فهذه فتنة الله تعالى لسليمان إنما هي اختباره حتى ظهر فضله فقط وما عدا هذا فخرافات ولدها زنادقة اليهود وأشباههم. ^(٢)

(١) سورة ص، الآية ٢٤ .

(٢) الفصل في الملل ١٥/٤ .

المبحث الثاني

خطر فتنة المنصب

إن فتنة المنصب لها خطر عظيم على المفتون ولقد ورد الكثير من الأحاديث والآثار الدالة على ذلك ، ومن ذلك على سبيل المثال تحذير النبي (صلى الله عليه وسلم) لبعض صحابته منها ، كما روى مسلم عن عبدالرحمن بن سمره قال: قال لي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ((يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها))^(١).

وعن أبي بردة قال: قال أبو موسى أقبلت إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) ومعي رجلان من الأشعرين أحدهما عن يميني والآخر عن يساري فكلاهما سأل العمل والني (صلى الله عليه وسلم) يستاك فقال: «ما تقول يا أبا موسى أو يا عبد الله بن قيس ، قال قلت: والذي بعثك بالحق ما أطلعاني على ما في أنفسهما وما شعرت أنهما يطلبان العمل قال: وكأني أنظر إلى سواكه تحت شفته وقد قلصت فقال: لن - أو - لا نستعمل على عملنا من أراد»^(٢).

والجواب على طلب الولاية كما طلبها يوسف: أولاً أن يوسف عليه السلام إنما طلب الولاية لأنه علم أنه لا أحد يقوم مقامه في العدل والإصلاح وتوصيل الفقراء إلى حقوقهم فرأى أن ذلك فرض متعين عليه فإنه لم يكن هناك غيره وهكذا الحكم اليوم لو علم إنسان من نفسه أنه يقوم بالحق في القضاء أو الحسبة ولم يكن هناك من يصلح ولا يقوم مقامه لتعين ذلك عليه ووجب أن يتولاها ويسأل ذلك ويخبر بصفاته التي يستحقها به من العلم والكفاية وغير ذلك كما قال يوسف عليه السلام.

(١) متفق عليه .

(٢) متفق عليه .

فأما لو كان هناك من يقوم بها ويصلح لها وعلم بذلك فالأولى ألا يطلب لقوله عليه السلام لعبد الرحمن ((لا تسأل الإمارة)) وأيضا فإن في سؤالها والحرص عليها مع العلم بكثرة آفاتهما وصعوبة التخلص منها دليل على أنه يطلبها لنفسه ولأغراضه ومن كان هكذا يوشك أن تغلب عليه نفسه فيهلك وهذا معنى قوله عليه السلام: «وكل إليها» «ومن أباهها» لعلمه بآفاتهما وخوفه من التقصير في حقوقها فرمى بها ثم إن ابتلي بها فيرجى له التخلص منها وهو معنى قوله: «أعين عليها» .

الثاني أنه لم يقل إني حبيب كريم وإن كان كما قال النبي (صلى الله عليه وسلم): الكريم بن الكريم بن الكريم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ولا قال: إني جميل مليح إنما قال: إني حفيظ عليم فسألها بالحفظ والعلم لا بالنسب والجمال.

الثالث إنما قال: ذلك عند من لا يعرفه فأراد تعريف نفسه وصار ذلك مستثنى من قوله تعالى: {فلا تزكوا أنفسكم} .

الرابع أنه رأى ذلك فرضا متعينا عليه لأنه لم يكن هنالك غيره وهو الأظهر والله أعلم.

الرابعة ودلت الآية أيضا على أنه يجوز للإنسان أن يصف نفسه بما فيه من علم وفضل قال الماوردي: وليس هذا على الإطلاق في عموم الصفات ولكنه مخصوص فيما اقترن بوصله أو تعلق بظاهر من مكسب وممنوع منه فيما سواه لما فيه من تزكية ومראה ولو ميزه الفاضل عنه لكان أليق بفضله فإن يوسف دعت الضرورة إليه لما سبق من حاله ولما يرجو من الظفر بأهله .^(١)

ومن خطرهما أنها سبب لنقصان الدين قال وهب: لعطاء إياك وأبواب السلطان فإن على أبواب السلطان فتنا كمبارك الإبل ولا تصيب من دنياهم شيئا إلا أصابوا من دينك مثله ثم قال: يا عطاء إن كان يكفيك ما يغنيك فكل عيشك يكفيك وإن كان لا يغنيك ما

(١) تفسير القرطبي: ٩/ ٢١٧.

يكفيك فليس شيء يسعه يسعك إنما بطنك بحر من البحور أو وادي من الأودية لا تشبعه إلا التراب وقد روي الكلام الأول من وجه ضعيف مرفوعا .

وقال ابن مسعود: إن على أبواب السلطان فتنا كمبارك الإبل لا تصيبوا من دنياهم شيئا إلا أصابوا من دينكم مثله .

وعن حذيفة قال: إياكم ومواقف الفتن قيل وما مواقف الفتن يا أبا عبد الله قال: أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه .^(١)

وقال معاوية بن أبي سفيان: اتقوا السلطان فإن السلطان يغضب غضب الصبي ويبطش بطشة الأسد قال وقال علي: قال عبد الله بن وهب: اتقوا السلطان اتقوا شرطتهم اتقوا مسلحيهم اتقوا عريفهم فإنهم مصرع لهم قال علي يغضب الحارس فيغضب المسلحي فيغضب الأمير فيغضب الخليفة متى يقوى بهم.^(٢)

وقال سفيان الثوري: إني لألقى الرجل ابغضه فيقول لي كيف أصبحت فيلين له قلبي فكيف بمن أكل ثريدهم ووطىء بساطهم .

وقال الثوري: أتروني أخاف أن يضربوني إن أتيتهم ولكني أخاف أن يكرموني فيفتنوني قال علي بن عثمان: قال: لي خيثم ليت لي بقراء زماني بعض من مضى من الفتیان.^(٣)

وقال معاوية بن أبي سفيان: اتقوا السلطان فإن السلطان يغضب غضب الصبي ويبطش بطشة الأسد قال: وقال علي: قال عبد الله بن وهب: اتقوا السلطان اتقوا شرطتهم

(١) شعب الإيمان ٤٩/٧ .

(٢) شعب الإيمان ٥٠/٧ .

(٣) شعب الإيمان ٥١/٧ .

اتقوا مسلحيهم اتقوا عريفهم فإنهم مصرع لهم قال علي: يغضب الحارس فيغضب المسلحي فيغضب الأمير فيغضب الخليفة متى يقوى بهم .^(١)

وخطر هذه الفتنة ليس من ناحية تسلطهم أو الخوف منهم فقط ، ولكن يأتي أيضاً من قبل دنياهم ، وفي هذا قال الثوري: أتروني أخاف أن يضربوني إن أتيتهم ولكني أخاف أن يكرموني فيفتنوني قال علي بن عثام قال لي خيثم: ليت لي بقراء زماني بعض من مضى من الفتیان .^(٢)

و عن حذيفة قال: إياكم ومواقف الفتن قيل وما مواقف الفتن يا أبا عبد الله قال: أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه .^(٣)

ومن خطرها أنها سبب في إزالة النعم ، قال الفضيل بن عياض: يقول آفة القراء العجب واحذروا أبواب الملوك فإنها تزيل النعم .^(٤)

وعن أحمد بن إدريس قال: قيل لبعض التابعين مالك لا تدخل على فلان قال: أكره أن أدخل عليه فيديني مجلسي فأوده فأكون قد أحببت من يبغضه الله أو أحشر يوم القيامة معه لمودتي له .^(٥)

وعن إسماعيل ابن شيبه وهما ضعيفان وقد وثقا وبقية رجاله رجال الصحيحين وعنه قال: يؤتى الدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرق أنيابها مشوه خلقها فنشرف على الخلائق فيقال: هل تعرفون هذه يقولون: نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال: هذه الدنيا التي تفاخرتم عليها وبها تقاطعتم الأرحام وبها تحاسدتم وتباغضتم وإتررتم ثم تقذف في جهنم فتنادى أي رب أين أتباعي وأشياعي فيقول الله تعالى: الحقوا بها أتباعها وأشياعها .

(١) شعب الإيمان ٥٠/٧ .

(٢) شعب الإيمان ٥١/٧ .

(٣) شعب الإيمان ٤٩/٧ .

(٤) شعب الإيمان ٥٠/٧ .

(٥) شعب الإيمان ٥٢/٧ .

وعن غالب القطان عن رجل عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «إن العرافة حق ولا بد للناس من عرفاء ولكن العرفاء في النار»^(١).

قال أهل العلم: العريف القيم بأمر القبيلة والمحلة يلي أمورهم ويتعرف أخبارهم ويعرف الأمير منه أحوالهم ومعنى قوله: إن العرافة حق يريد أن فيها مصلحة للناس ورفقا بهم إلا تراه يقول لا بد للناس من عرفاء وقوله: في النار معناه التحذير من الرياسة والتأمر على الناس لما فيه من الفتنة والله أعلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «ويل للأمرء وويل للأمناء وويل للعرفاء ليتمنين أقوام يوم القيامة أن ذوائبهم كانت معلقة بالثرى يتذبذبون بين السماء والأرض وإنهم لم يعملوا عملاً». أخرجه أبو داود الطيالسي^(٢).
وقال سفيان الثوري: إني لألقى الرجل ابغضه فيقول لي: كيف أصبحت فيلن له قلبي فكيف بمن أكل ثريدهم ووطىء بساطهم^(٣).

و عن حذيفة المرعشي قال: إياكم وهدايا الفجار والسفهاء فإنكم أن قبلتموها ظنوا أنكم رضيتم بفعلهم^(٤).

ومن أخطر جوانب هذه الفتنة أنها ربما صارت سبباً في الشرك بالله جل وعلا ، حيث تتخذ الصور وتعظم من دون الله ، حتى ولو كانت تلك الصور صور أنبياء وصالحين، فكيف إذا كانوا غير ذلك ، ذكرت أم سلمه وأم حبيبة عن كنيسة الحبشة حسنهما وتصاوير فيها .

(١) أخرجه أبو داود .

(٢) يقظة أولي الاعتبار ١١٦/١ .

(٣) شعب الإيمان ٥١/٧ .

(٤) شعب الإيمان ٥٢/٧ .

والذين يتخذون التماثيل هم شرار الخلق عند الله ، مقتضى هذا تحريم ما ذكر لا سيما وقد ثبت اللعن عليه قال البيضاوي: لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الأنبياء تعظيماً لشأنهم ويجعلونها قبلة يتوجهون في الصلاة نحوها واتخذوها أوثاناً لعنهم النبي (صلى الله عليه وسلم) ومنع المسلمين عن مثل ذلك.

قال القرطبي: وإنما صور أوائهم الصور ليتأسوا بها ويتذكروا أفعالهم الصالحة فيجتهدون كاجتهادهم ويعبدون الله عند قبورهم ثم خلفهم قوم جهلوا مرادهم ووسوس لهم الشيطان أن أسلافكم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها فحذر النبي (صلى الله عليه وسلم) عن مثل ذلك سدا للذريعة المؤدية إلى ذلك.

قوله: فهؤلاء جمعوا بين الفتنين إلى آخره هذا من كلام شيخ الإسلام ذكره المصنف عنه يعني أن الذين بنوا هذه الكنيسة جمعوا فيها بين فتنين ضل بها كثير من الخلق الأولى فتنة القبور لأنهم افتتنوا بقبور الصالحين وعظموها تعظيماً مبتدعاً فآل بهم إلى الشرك وهي أعظم لفتنتين بل هي مبدأ الفتنة الثانية وهي فتنة التماثيل أي الصور فإنهم لما افتتنوا بقبور الصالحين وعظموها وبنوا عليها المساجد وصوروا فيها الصور للقصد الذي ذكره القرطبي فآل الأمر إلى أن عبدت الصور ومن هي صورته من دون الله وهاتان الفتنان هما سبب عبادة الصالحين كاللات وود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وغيرهم من الصالحين.^(١)

ومن شدة خطر فتنة المنصب فقد كان السلف يفرون منها فراراً ، عن خالد بن سمير قال: غدا علي بن عمر رضي الله عنهم فقال: هذه كتبنا قد فرغنا منها اركب بها إلى أهل الشام فقال: أنشدك بالله وأنشدك الإسلام قال: إنك والله لتركبه قال: أذكرك الله واليوم الآخر فإن هذا أمر لم أكن من أوله في شيء ولست كائناً من آخره في شيء وإني والله ما أرد عليك من أهل الشام شيئاً والله لئن كان أهل الشام يريدونك لتأتينك طاعتهم وإن كانوا لا يريدونك ما أنا براد عليك منهم شيئاً قال: إنك والله لتركبه طائعاً أو كارهياً

فدخل ابن عمر داره وانصرف عنه علي حتى أندس في سواد الليل فدعى بنجائبه فقعد عليها فرمى بها إلى مكة.^(١)

حال السلف مع المنصب

عن علي بن أبي طالب اتقوا أبواب السلطان.

وعن سلمة بن قيس قال: لقيت أبا ذر فقال: يا سلمة بن قيس ثلاثا فاجتنبها لا تجمع بين الضرة فإنك لن تعدل ولو حرصت ولا تعمل على الصدقة فإن صاحب الصدقة زائد أو ناقص ولا تغش ذا سلطان فإنك لا تصيب من دنياهم إلا أصابوا من دينك أفضل منه.^(٢)

وقال الفضيل: كنا نتعلم اجتناب السلطان كما نتعلم سورة من القرآن.^(٣)

وعن الحسن بن عمرو قال: سمعت بشرا يقول أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام يا داود لا تتخذ بيني وبينك عاملا مفتونا فيصدقك بشكره عن طريق محبي أولئك قطاع طريق عبادي.^(٤)

و عن حذيفة المرعشي قال: إذا دعاك من يريد الله كنت في راحة من إجابته وإذا دعاك بعز الله همك ذلك تريد أن تكافئه.^(٥)

و كان معاوية قل ما يحدث عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شيئا قال: كن هؤلاء كلمات يحدث بمن في الجمع من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين دين الله وإن هذا المال حلو خضر فمن أخذه بحقه بورك له فيه وإياكم والتمادح فإنه الذبح.^(٦)

(١) ابن حماد ١/١٥٩.

(٢) شعب الإيمان ٧/٤٩.

(٣) شعب الإيمان ٧/٥٠.

(٤) شعب الإيمان ٢/٣٠٨.

(٥) شعب الإيمان ٧/٥٢.

و عن أبي عبيدة عن يونس قال: كان في محراب عمدان بصنعاء ثلاثة أسطر مكتوب في صدره سلط السكوت على لسانك إن كانت العافية من شأنك وفي الجانب الأيمن السلطان نار فانصرف عن مكافحتها وفي الجانب الأيسر ول الكلام غيرك .

وعن سفيان الثوري يقول لرجل: إن دعوك أن تقرأ عليهم قل هو الله أحد فلا تأنفهم قلت لأبي شهاب من يعني قال السلطان .^(١)

وعن أبي زكريا يحيى بن محمد العنبري يقول: سمعت أبا عثمان سعيد بن إسماعيل يقول ينبغي لمن يخاف الله عز وجل لا يأتي باب السلطان حتى يدعى فيأتيه وهو خائف من ربه عز وجل فيأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويقول الحق كما جاء في الخبر أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ثم ينصرف عنهم وهو خائف من ربه فهذا غير مفتتن إنما المفتتن أن يأتيهم راغبا طالبا للدنيا طالبا للعز في الدنيا طالبا للرئاسة في الناس يتعزز بعز السلطان ويتكبر بسلطانه فإذا آتاهم داهنهم ومال إليهم ورضي بسوء فعلهم وأعانهم عليه وصدقهم على غير الحق من قولهم ورجع عنهم مفتخرا بهم آمنا لمكر الله معتزا بما نال من العز بهم يؤذي الناس ويطغى فيهم ويتقوى عليهم باختلاف إلى السلطان فهذا الذي افتتن ونسي الآخرة وعصى ربه وأذى المؤمنين ونقص من دينه مالا يجبره الدنيا كلها لو كانت له.^(٢)

و عن عيسى وهو بن سنان سمعت وهبا يقول لعطاء: إياك وأبواب السلطان فإن على أبواب السلطان فتنا كمبارك الإبل ولا تصيب من دنياهم شيئا إلا أصابوا من دينك مثله ثم قال: يا عطاء إن كان يكفيك ما يغنيك فكل عيشك يكفيك وإن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس شيء يسعه يسعك إنما بطنك بحر من البحور أو وادي من الأودية لا تشبعه إلا التراب وقد روي الكلام الأول من وجه ضعيف مرفوعا .

(١) شعب الإيمان ٢٨٠/٧ .

(٢) شعب الإيمان ٥٠/٧ .

(٣) شعب الإيمان ٥٢/٧ .

وعن سلمة بن قيس حدث قال: لقيت أبا ذر فقال: يا سلمة بن قيس ثلاثا فاجتنبها لا تجمع بين الضرة فإنك لن تعدل ولو حرصت ولا تعمل على الصدقة فإن صاحب الصدقة زائد أو ناقص ولا تغش ذا سلطان فإنك لا تصيب من دنياهم إلا أصابوا من دينك أفضل منه .

وعن حذيفة قال: إياكم ومواقف الفتن قيل: وما مواقف الفتن يا أبا عبد الله قال: أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه . ومن لم يصدقهم على كذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم ويردون على حوضي يا كعب بن عجرة الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة والصلاة قربان أو قال: برهان يا كعب بن عجرة إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت أبدا النار أولى به يا كعب بن عجرة الناس غاديان فمبتاع نفسه فمعتقها أو بائع نفسه فموبقها .^(١)

وعن سفيان الثوري يقول لرجل: إن دعوك أن تقرأ عليهم قل هو الله أحد فلا تأنفهم قلت لأبي شهاب من يعني قال السلطان .^(٢)

وعن عبادة بن نسي قال: كانت لأبي الدرداء إلى معاوية حاجة قال: فحجبه لشغل كان فيه فوجد في نفسه فقال: من أتى باب السلطان قام وقعد ومن وجد بابا مغلقا وجد إلى جنبه بابا فتحا رحبا إن سأل أعطي وإن دعى أجيب وإن أول نفاق المرء طعنه على إمامة .^(٣)

قال سفيان الثوري: إذا رأيت القارئ يلوذ بالسلطان فاعلم أنه لص وإذا رأيته يلوذ بالأغنياء فاعلم أنه مرء وإياك أن تتخدع فيقال لك ترد مظلمة تدفع عن مظلوم فإن هذه خدعة إبليس اتخذها القراء سلما .^(٤)

(١) شعب الإيمان ٤٧/٧ .

(٢) شعب الإيمان ٥٠/٧ .

(٣) شعب الإيمان ٤٨/٧ .

(٤) شعب الإيمان ٥١/٧ .

المبحث الثالث

صور معاصرة لفتنة المنصب

وكما هي الحال في بعض الفتن فإنها قديمة من حيث أصلها ، إلا أن لها بعض المعاصرة ، وذلك لكثرة المناصب وتنوعها ، وتعدد المسميات واختلافها ، فضلاً عن تغير أحوال البشر، وعلى سبيل المثال ما يلي :-

الانتخابات

الانتخابات هي طريقة للوصول إلى مناصب معينة ، مثل رئاسة الدولة ، أو عضوية برلمان أو نيابة أو غير ذلك ، وما نلاحظه في هذا الزمان من الصراع المحموم على هذه الانتخابات وما يحصل في بعضها من تزوير وتلاعب، إضافة إلى الحملات الدعائية المحمومة في بعض الأحيان للمرشحين من أجل كسب الأصوات .

وعلى هذا فإنه أحياناً لا تعطى الأصوات حسب الكفاءات، وإنما تعطى لاعتبارات معينة، كالأعبارات الحزبية أو القومية أو الدينية، أو بناء برنامج سياسي أو وعود ربحية تصدق أو لا تصدق.

مسميات المناصب

إن متطلبات الحياة المعاصرة دعت إلى تنظيم وظيفي للحفاظ على نظم حياة المجتمعات والدول، فكانت هناك مسميات للوظائف القيادية، كرئيس الدولة، رئيس الوزراء، وزير، مدير عام، مدير شركة، وغير ذلك من المسميات، التي يتطلع لها الكثير، ويتمنون الحصول عليها.

تحقيق المصلحة الشخصية

بعض المناصب القيادية محدودة الزمن بعدد من السنوات مما يجعل بعض المتولين لها ممن لا تهمه كثيراً المصلحة العامة أن يفكر كم من المكسب يستطيع أن يحققه لنفسه في هذه الفترة المحدودة.

المبحث الرابع

أثر العقيدة في النجاة من فتنة المنصب

أولاً : الإيمان بالله سبحانه وتعالى

الإيمان بالله سبحانه وتعالى فيه النجاة من كل فتنة ومنها فتنة المنصب . ويكون ذلك بأمور عدة :-

- ١ - إدراك عظمة الله سبحانه وتعالى وأن بيده كل شيء وهو المتصرف في كل شيء، وأن من ولي ولاية فإن الله سبحانه فوق فوقه .
- ٢ - التأمل في أن الله سبحانه وتعالى هو الذي هذا المنصب وكتبه له ، وهو سبحانه وتعالى قادر على إزالة متى شاء ، وفي قصص الغابرين من أصحاب المناصب عبرة وعظمة لغيرهم .
- ٣ - الالتزام في أوامر الله سبحانه وتعالى المتعلقة في هذا المنصب ، والبعد عن نواهيه.
- ٤ - مراقبة الله سبحانه وتعالى في هذه المناصب والعمل على أداء حقوقها .
- ٥ - العلم بأن قدرة الله سبحانه وتعالى العبد أعظم من قدرة العبد على غيره من مرؤوسيه.

ثانياً : الإيمان بالرسول (صلى الله عليه وسلم) .

وهذا الجانب من جوانب العقيدة أيضاً في سلامة من الفتنة من وجوه شتى .

- ١ - العلم بحاله (صلى الله عليه وسلم) .

٢- الأخذ بتوجيهاته في الإقبال على المناصب وإدارتها . عن ابن عمر أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «ويل للزربية قيل يا رسول الله وما الزربية قال الذي إذا صدق الأمير قالوا صدق وإذا كذب الأمير قالوا صدق»^(١).

ثالثاً : الإيمان بالقضاء والقدر

أن يعلم صاحب المنصب أن هذا المنصب قدر قدره الله سبحانه وتعالى له قبل أن يخلق السماوات والأرض ، وأنه سبحانه يسر الإنسان لما قدر له ، وكما أن الله سبحانه قدر حصوله عليه ، فقد قدر زواله عنه .

رابعاً : الإيمان باليوم الآخر

وهذا الجانب من جوانب العقيدة ينجي بإذن الله سبحانه وتعالى من فتنة المنصب في مجالات شتى ، منها على سبيل المثال :-

١- العلم بالسؤال عنه يوم القيامة ، لحديث «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»

٢- العلم الثواب المترتب على الإحسان بالمنصب .

٣- العلم بالعقاب المترتب على الإخلال بهذا المنصب .

معلومات ونصوص احتياطية

أسباب الفتن / [أصول الإيمان ج ١/ص ١٣٥] أسباب الفتن ٩٨ وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير وتتخذ سنة يجري الناس عليها فإذا غير منها شيء قيل تركت سنة قيل متى ذلك يا أبا عبد الرحمن قال إذا كثر قراؤكم وقل فقهاؤكم وكثرت أموالكم وقل امناءكم والتمست الدنيا بعمل الآخرة وتفقه لغير الدين رواه الدارمي .

٤٠٠٣ حدثنا محمد بن ربح أنبأنا الليث بن سعد عن ابن الهاد عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: «يا معشر النساء تصدقن وأكثرن من الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار فقالت امرأة منهن جزلة ومالنا يا رسول الله أكثر أهل النار قال تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لدي لب منكن قالت يا رسول الله وما نقصان العقل والدين قال أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل فهذا من نقصان العقل وتمكث الليالي ما تصلي وتفطر في رمضان فهذا من نقصان الدين»^(١).

فتنة النساء / ، ٥٣٩٨ أخبرنا علي أنا الحسين ثنا عبد الله حدثني الهيثم بن خارجة ثنا محمد بن حمير عن النجيب بن السري قال كان يقال لا يبيت الرجل في بيت مع المرد^(٢).

فتنة النساء / ٥٣٩٩ أخبرنا علي أنا الحسين أنا عبد الله ثنا الحسين بن علي العجلي ثنا محمد بن الصلت ثنا بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله أتأتون الفاحشة قال أدبار الرجال^(٣).

(١) سنن ابن ماجه ١٣٢٦/٢ .

(٢) شعب الإيمان ٣٥٩/٤ .

(٣) شعب الإيمان ٣٥٩/٤ .

فتنة النساء / ٥٤٠٠ أخبرنا علي أنا الحسين ثنا عبد الله ثنا إسحاق بن إبراهيم ثنا إسماعيل بن إبراهيم عن ابن أبي نجيح أتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين قال قال عمرو بن دينار ما نذاكر على ذكر حتى كان قوم لوط. ^(١)

فتنة النساء / ٥٤٠١ قال وثنا عبد الله حدثني الفضل بن إسحاق حدثني أبو قتيبة عن عرفت العبدى قال سمعت بن سيرين يقول ليس شيء من الدواب يعمل عمل قوم لوط الا الخنزير والحمار. ^(٢)

فتنة النساء / ٥٤٠٢ أخبرنا أبو الحسين بن بشران أنا الحسين بن صفوان ثنا عبد الله بن محمد ثنا الحسن بن يوسف ثنا بقية أخبرني عبيد بن الوليد بن أبي السائب عن أبي سهل قال سيكون في هذه الأمة قوم يقال لهم اللوطيون على ثلاثة أصناف صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون ذلك العمل. ^(٣)

فتنة النساء / ٥٤٠٣ أخبرنا أبو الحسين أنا الحسين ثنا عبد الله ثنا سويد بن سعيد ثنا مسلم بن خالد عن إسماعيل بن كثير عن مجاهد قال لو أن الذي يعمل ذلك العمل يعني عمل قوم لوط اغتسل بكل قطرة من السماء وكل قطرة في الأرض لم يزل نجسا. ^(٤)

فتنة النساء / ٥٤٠٤ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثني محمد بن أحمد الذهلي حدثني محمد بن موسى قال سمعت محمد بن حاتم بن نعيم بمكة يقول سمعت حيان يقول سمعت عبد الله بن المبارك ١ دخل سفيان الثوري الحمام فدخل عليه غلام صبيح فقال أخرجوه فإني أرى مع كل امرأة شيطانا ومع كل غلام بضعة عشر شيطانا. ^(٥)

(١) شعب الإيمان ٣٥٩/٤.

(٢) شعب الإيمان ٣٥٩/٤.

(٣) شعب الإيمان ٣٥٩/٤.

(٤) شعب الإيمان ٣٥٩/٤.

(٥) شعب الإيمان ٣٥٩/٤.

علاج / رسل / ١٤٦٨ وحدثني حرملة بن يحيى أخبرنا بن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب حدثني بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إن المرأة كالضلع إذا ذهب تقيمها كسرتها وإن تركتها استمتعت بها وفيها عوج.^(١)

علاج / رسل / النظر إلى الصور المحرمة ، ٣٦ وسئل فضيلة الشيخ عن تهاون كثير من الناس في النظر إلى صور النساء الأجنبية بحجة أنها صورة لا حقيقة لها فأجاب حفظه الله تعالى بقوله هذا تهاون خطير جدا وذلك أن الإنسان إذا نظر للمرأة سواء كان ذلك بواسطة وسائل الإعلام المرئية أو بواسطة الصحف أو غير ذلك فإنه لا بد أن يكون من ذلك فتنة على قلب الرجل تجره إلى أن يعتمد النظر إلى المرأة مباشرة وهذا شيء.^(٢)

علاج / رسل / مشاهد ولقد بلغنا أن من الشباب من يقتني صور النساء الجميلات ليتلذذ بالنظر إليهن أو يتمتع بالنظر إليهن وهذا يدل على عظم الفتنة في مشاهدة هذه الصور فلا يجوز للإنسان أن يشاهد هذه الصور سواء كانت في مجلات أو في صحف أو غير ذلك إن كان يرى من نفسه التلذذ والتمتع بالنظر إليهن لأن ذلك فتنة تضره في دينه وفي اتجاهاته ويتعلق قلبه بالنظر إلى النساء فيبقى ينظر إليهن مباشرة المجموع الثمين ٣١٦٠.^(٣)

السلامة من الفتن / ٧٥ حدثنا أحمد بن إبراهيم المكي حدثنا عبدالرحمن بن عبدالله حدثنا جدى ١ حدثنا سفيان عن عمرو عن طاوس قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إن الفتن ستعمكم فتعوذوا بالله من شرها ٢٦ ٢ حدثنا علي بن محمد حدثنا علي بن مسرور حدثنا أحمد حدثنا سحنون حدثنا ابن القاسم حدثنا مالك عن أبي الزبير ٣ عن طاوس اليماني عن عبدالله بن عباس أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن يقول اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ

(١) صحيح مسلم ١٠٩٠/٢.

(٢) فتاوى مهمة ١٤٨/١.

(٣) فتاوى مهمة ١٤٩/١.

بك من عذاب القبر وأعوذ بك ٤ من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة الميحا

والممات ١